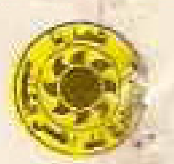




تحدّى الشيطان



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ الرهينة ..

كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة مساءً ، عندما انطلقت السيارة التى يستقلّها (ممدوح) ، تطوى الطريق فى سرعة غير عادية ، اجتاز بها عددًا من الطرق والدروب الوعرة ، ثم اخترق منطقة أحراش أشد وعورة ، طائرًا بسيارته كالعاصفة ، دون أن يعبأ بوعورة الطريق ، وأخيرًا لاحت له معالم ذلك المنزل المهجور ، الذى يختفى خلف سور عال من الصخور الصلبة ، فخفض من سرعة سيارته ، وهو يقترب من الأرض الترابية المحيطة بذلك المنزل ، ثم لم يلبث أن أوقف السيارة ، على مسافة أربعة أمتار من المنزل ، وألقى نظرة فاحصة على السور المرتفع ، المحيط بالمنزل ، استعدادًا للخطوة التالية ، ثم هبط من السيارة ، وتناول شيئًا من المقعد الخلفى ، أخذ يحرّكه فى اتجاهات مختلفة بخفة ومهارة ، وعلى الرغم من ظلمة الليل ، فقد بدا من الواضح أن هذا الشىء قد تحوّل فى يد (ممدوح) إلى مقعد صغير عادى ، يشبه ذلك النوع من المقاعد الذى يستخدم على الشواطئ و (البلاجات) ، إذ

كان له مسند خلفى من القماش المقوى ، وكذلك كانت قاعدته ، أما أهم مايميِّزه فهو هيكله المعدنى ، وذراعاه القويتان ، وذلك الحزام الجلدى الذى يتدلّى من أحد جوانبه ..

وفجأة صرخ أحدهم :

ــ أنت .. انتظر .. ماذا تفعل هنا ؟

استدار (ممدوح) ليجد شخصًا يقترب منه ، حاملًا بندقية آلية ، وقد وضع إصبعه على زنادها ، وحمل مصباحًا يدويًّا ، ركزّه على وجه (ممدوح) وهو يستطرد :

ــ ارفع يديك إلى أعلى .

نفَّذ (ممدوح) ما أمره به الرجل ، قائلًا :

ــ لقد تعطلت سيارتى فجأة ، فوجدت نفسى مضطرًّا للتوقّف هنا .

قال الرجل بغلظة ، محتفظًا بمسافة عدة أقدام بينه وبين (ممدوح) :

ــ وما الذى جاء بك إلى هذا المكانِ النائى ؟ .. ثم ما هذا المقعد الصغير ، الذى تضعه إلى جوار السيارة ؟ .

قال (ممدوح) بثبات :

ــ لقد ضللت الطريق ، أرهقنى مقعد السيارة ، ففكَرت أن أستريح قليلًا على هذا المقعد المريح .

قال الرجل ، وقد بدا عليه عدم الاقتناع :

ــ هل تحمل معك سلاحًا ؟

قال (ممدوح) مصطنعًا الدهشة .

ــ سلاح ؟! وما حاجتى إلى الأسلحة ؟ إننى رجل مسالم ، ولا أبحث عن متاعب من أى نوع .

قال له الرجل فى غلظة :

ــ سنرى ذلك .. استدر وضع يديك فوق ذراعى المقعد ، وحذار أن تأتى أية حركة غير عادية ، وإلا مزّقتك برصاص بندقيتى .

نفّذ (ممدوح) ما أمره به الرجل ، فاستدار وانحنى انحناءة بسيطة ، واضعًا يديه فوق ذراعى المقعد ، وخطا الرجل خطوة صغيرة نحوه ، ثم لم يلبث أن وقف متردِّدًا ، وهو يقول :

ــ يا لحماقتى !! وما حاجتى إلى تفتيشك ، ما دمت قد جئت إلى هنا لا بد من التخلّص منك فوراً ؟

قال ذلك ، وهو يتأهَّب لإطلاق الرصاص على (ممدوح) ، ولكن فى لمح البصر ، كان (ممدوح) قد سحب مدية حادة

مدَببة ، كانت مستقرة فى جراب أسفل ذراع المقعد ، واستدار كالوميض الخاطف ، ليقذف السكين فى قوة وسرعة تجاه الرجل ، الذى سقط سلاحه أرضًا ، وتحشرج صوته وهو واضع يديه على رقبته التى اخترقها السكين ، لينفذ حدها المدبَّب من مؤخرة عنقه ، ثم تهاوى على الأرض دون حراك ، وعاد (ممدوح) يلقى نظرة على السور المحيط بالمنزل ، ثم جلس فوق المقعد ، بعد أن ربط حزامه حول وسطه بإحكام ، وضغط زرين صغيرين فى ذراعى المقعد ، الذى ارتفع به فى الهواء ، وما أن أصبح على ارتفاع معيَّن ، حتى عمل على توجيهه بذراع خاص متحرِّك ، داخل ذراع المقعد ، فى اتجاه المنزل القديم ، واجتاز السور المحيط بالمنزل ، وهو طائر بمقعده ، الذى أخذ يحدث أزيزًا خاصًا ، كأزيز محرِّك صغير ، حتى أصبح فوق سطح المنزل تمامًا .

ونظر (ممدوح) إلى أسفل ، ليجد شخصًا مسلحًا بمدفع رشاش ، وقد كمن فوق السطح .. ويبدو أن الرجل كان يلقى نظرة إلى أعلى أيضًا ، وقد أثار صوت الازيز الصادر من السماء انتباهه ، وفوجئ برؤية (ممدوح) فوق مقعده الطائر ، فأسرع يصوِّب فوهة مدفعه فى اتجاهه ، مطلقًا وابلًا من

الرصاصات ، فى حين عمد (ممدوح) إلى تحريك ذراع المقعد الطائر ، ليوجِّهه فى اتجاهات متعرجة ، محاولًا تفادى طلقات الرصاص ، ولكن إحدى الرصاصات أصابت المقعد ، فأعطبته ، وتهاوى على الأثر فوق السطح ..

وقبل أن يسقط المقعد محطّمًا فوق سطح المنزل ، كان (ممدوح) قد حلّ الحزام المتصل به ، والملتفّ حول وسطه ، ليقفز منه فوق الرجل المسلّح ، قبل أن يوجِّه إليه رصاص مدفعه من جديد ، وتناثرت أجزاء المقعد الطائر فوق سطح المنزل ، الذى لا يزيد ارتفاعه على دورين ، فى حين تدحرج (ممدوح) وهو يحتضن غريمه ، ليهوى الاثنان على الأرض ، يسبقهما سلاح الرجل ..

وجاءت السقطة من القوة ، بحيث تألّم الاثنان ، ولكن من حسن حظ (ممدوح) أن سقوطه جاء فوق جسد غريمه ، فكان أخف وطأة ، فأسرع يجثم فوق صدر الرجل ، قبل أن يتمكّن من النهوض ، مسدِّدًا له لكمة قوية فى فكه ، انهالت إثرها مقاومته تمامًا ، وفقد الوعى ، وسمع (ممدوح) أصواتًا تصدر من داخل المنزل ، وبعضها يتساءل قائلًا :

ــ ماهذا ؟ ما الذى يحدث فى الخارج ؟

وسمع صوتًا آخر يرد عليه قائلًا :

ــ هناك طلقات رصاص فوق سطح المنزل .. يبدو أن (زاكرى) قد لمح شيئًا ما .

وعلى الفور اندفع (ممدوح) يركض فى اتجاه مبنى صغير ، على هيئة مخزن مغطى بسقف معدنى ، على بعد ثلاثة أمتار من المنزل ..

كان المكان مظلمًا من الداخل ، ولكن (ممدوح) تمكَّن على ضوء مصباحه اليدوى ــ من تمييز عدد من أدوات النجارة ، ومجموعات كبيرة من الألواح الخشبية ، موزّعة فى أماكن متفرقة ، وبدا له من الواضح أن المكان بمثابة مخزن للأخشاب ، التحقت به ورشة نجارة ، تتبع ذلك المنزل النائى ..

وفجأة توقَّف (ممدوح) أمام شخص يقف إلى جوار أحد الأعمدة الخشبية . التى يستند إليها سقف المخزن ، وقد قُيِّد من أحد رسغيه بسلسلة حديدية إلى العمود الخشبى ، وهتف ممدوح :

ــ سيِّدى الوزير .

سأله الرجل فى دهشة :

ــ من أنت ؟

قال (ممدوح) ، وهو يبحث عن وسيلة ليحرِّره من القيد الحديدى :

ــ إسمى (ممدوح عبد الوهاب) ، من إدارة العمليات الخاصة ، وقد أسندت إلىَّ مهمة إنقاذك ، وإعادتك إلى الوطن .

وفجأة أضيئت أنوار المخزن ، وسمع (ممدوح) صوتًا يقول فى غلظة متهكمة :

ــ هل أنت واثق من أنك ستنجح فى ذلك ؟

التفت (ممدوح) ليجد أمامه شخصًا طويل القامة ، عريض المنكبين ، يتميَّز بعضلات مفتولة ، وشعر طويل يتهدَّل فوق كتفيه ، ووجه قبيح شديد الصرامة ..

وقبل أن يستعد (ممدوح) لمواجهة الموقف ، كان الرجل قد انقض عليه ، وهو يقبض على إحدى ذراعيه ، ليحمله فوق ظهره ، ملقيًا به على الأرض ، كما يفعل المصارعون المحترفون ..

وحاول (ممدوح) أن يساعد نفسه على النهوض من سقطته ، فتلقى ركلة قوية فى وجهه ، من قدم الرجل ، ألقت به

على الأرض مرة أخرى ، ولكنه تقلّب على الأرض سريعًا ، وهو يلف ذراعيه حول ساق غريمه ، ليخل بتوازنه ملقيًا به على الأرض بدروه ، وعاجله بكلمة استقرّت على فكه ، تلاها بأخرى تحت عينه ، ولكن الرجل دفعه بقدميه فى أمعائه ، ليطيح به إلى الوراء ، ونهض فى اللحظة التى نهض فيها (ممدوح) ، واستعاد توازنه ، مصوِّباً إليه لكمة عنيفة ، تفاداها (ممدوح) ببراعة ، ليسدِّد إليه لكمة أشد عنفًا فى بطنه ، فصرخ الرجل من شدة الألم ، وهو يضع يده على عنقه ..

وفجأة اقتحم المكان رجل وفتاة مسلحان وصرخ الرجل :

ــ ما الذى يحدث هنا بحق الجحيم ؟

قال الذى يصارع (ممدوح) ، وهو مازال يضع يده على عنقه متألمًا :

ــ لقد تسلل هذا الرجل إلى مخزن الأخشاب ، ووجدته يحاول مساعدة الوزير على الهرب .

ألقى الرجل المسلح لزميله بسلسلة حديدية ، كتلك التى تقيد رسغ الوزير بالعمود الخشبى ، قائلًا :

ــ قيده بهذه السلسلة .

وعلى الفور قام الرجل المفتول العضلات بجذب (ممدوح) من ذراعه ، نحو عمود خشبى آخر ، حيث وضع السوار المعدنى الموجود فى أحد طرفى السلسلة الحديدية ، حول معصم (ممدوح) ، ثم لفّ السلسلة الحديدية حول العمود الخشبى ، بعد أن أغلقها من الجهة الأخرى بسوار معدنى آخر ، فى حين كان زميله يصوِّب إليه فوهة مدفعه الآلى ..

ولمح (ممدوح) فى أثناء تكبيل الرجل له ، ذلك المسدس الموضوع فى جراب ، يلتفّ حول إبطه ، ويختفى تحت سترته ، وقال الرجل الذى يحمل المدفع الآلى ، وهو مستمر فى تصويب سلاحه إلى (ممدوح) :

ــ والآن .. ستخبرنى .. ما الذى جاء بك إلى هنا أيها المغامر الأحمق ؟

ممدوح :

ــ جئت للتفاوض معكم .

أطلق الرجل ، الذى كان من الواضح أنه يقود الآخرين ، ضحكة قصيرة قائلا :

ــ وهل فوضوك أيضًا بالقفز فوق الأسوار والأسطح ، للتسلل إلى هذا المكان ؟

قال (ممدوح) بثبات :

ــ كانت مجرد محاولة .

قال الرجل بصرامة :

ــ بل قل حماقة ، لا يرتكبها إلا الأغبياء .

ممدوح :

ــ فليكن .. ولقد فُوِّضت فى حالة فشلها بالتفاهم معكم حول الفدية التى تطلبونها ، للإفراج عن وزير الخارجية .

قال الرجل :

ــ لقد حدّدنا شروطنا من قبل : الإفراج عن زميلينا ، الذين أودعتموهما سجونكم ، ودفع خمسين مليون دولار نقدًا لنا .

قال (ممدوح) ، محاولًا المماطلة ، وكسب المزيد من الوقت :

ــ أننا سنستجيب لمطلبكم ، بشأن الإفراج عن زميليكما ، ولكن بخصوص المبلغ الذى طلبتموه ، فلن نستطيع أن ندفع أكثر من عشرين مليون دولار فقط .

نظر إليه المسلّح برهة من الوقت ، ثم التفت إلى زميله ، قائلًا بحسم :

ــ اقتله .

وقبل أن يتناول الرجل المفتول العضلات مسدّسه من جرابه ، نظر (ممدوح) إلى الرجل الآخر ، قائلًا :

ــ يجب أن تعرف أننى لم آت إلى هنا وحدى .. هناك شخصان آخران تسلّلا معى إلى هذا المكان .. قد يكونا الآن فى منزلك ، أو خلف هذا المخزن ، وكلنا مصممون على إنجاح مهمتنا ، التى جئنا من أجلها .

أشار الرجل إلى زميله ، لكى يتراجع عن إطلاق الرصاص ، وهو ينظر إلى (ممدوح) مفكّرًا برهة أخرى من الوقت ، ثم لم يلبث أن قال لزميلته :

ــ تعالى معى يا (شيزان) سنبحث معًا عن هذين الشخصين المزعومين ، لو كان لهما وجود .

ونظر إلى (ممدوح) قائلًا :

ــ وأعلمك ، فى حالة وجودهما ، أن أتكفّل بتحمّل تكاليف التوابيت ، التى ستنقلكم أنتم الثلاثة إلى أوطانكم .

ونظر إلى الوزير المختطف ، قائلًا :

ــ وربما كانت أربعة توابيت .

ثم عاد ينظر إلى زميله ، قائلًا :

ـــ وفى كل الأحوال لا ننتظر حتى نجد هذين الشخصين المزعومين .. يمكنك أن تتسلَّى بقتله حتى نعود إليك .

وأطلق ضحكة أخرى ساخرة ..

ضحكة شيطان .

* * *



٢ ـــ لحظات الخطر ..

انصرف الرجل والفتاة من المخزن ، فى حين صوَّب زميله مسدسه نحو (ممدوح) ، قائلًا وابتسامة وحشية تتراقص على وجهه :

ـــ سيسعدنى أن أفعل ذلك .

عمد (ممدوح) إلى استفزازه قائلًا :

ـــ إنك تشعر بالقوة والثقة ، فى وجود ذلك المسدس .. أليس كذلك ؟ فقد أثبتت المعركة ، التى دارت بيننا منذ لحظات ، أنك لا تساوى شيئًا بدونه .

واستمر فى استفزازه ، وقد لاحظ تقلّص عضلات وجه الرجل :

ـــ إنك جبان بدون سلاحك ، وأنت تعرف ذلك جيدًا .. هيا أطلق الرصاص ، فهو الشىء الوحيد الذى تجيده ، لأنك لن تتحمل مواجهتى رجلًا لرجل ، وقد أذقتك لكماتى منذ لحظات .

زمجر الرجل ، قائلًا وهو يعيد مسدسه إلى جرابه :

ـ حسنًا أيها المغرور ، .. سأقتلك بيدىَّ بدلًا من رصاص المسدس ، ولكننى سأجعلك تتمنى لو كنت قد أطلقت الرصاص ، إذ أننى سأمزقك تمزيقًا .

ثم قام بفك السوار المعدنى ، الذى يلتف حول معصم (ممدوح) ، فى حين ابتسم هذا الأخير لنجاحه فى تحقيق مأربه ، ودفع الرجل المفتول العضلات (ممدوح) بيده فى صدره دفعة قوية ، وهو يواجهه قائلًا :

ـ هيا أرنى قوتك .

وبسرعة سدَّد (ممدوح) لكمة قوية إلى فك الرجل ، ولكنه تفاداها ببراعة ، وعاجل (ممدوح) بلكمة عنيفة فى صدغه ، أطاحت به إلى الوراء ، ثم هجم عليه بشراسة ، ليحيط خصره بذراعيه القويتين ، وهو يحمله إلى أعلى ، معتصرًا عموده الفقرى .. وأحسّ (ممدوح) بألم شديد تكاد تنخلع له فقرات عموده الفقرى ، فأخذ يوجّه ضربات قوية بحد كفيه إلى عنق غريمه ، لم تؤت أثرها فى البداية ، ولكن مع توالى الضربات بدأت ذراعا الرجل تتراخيان ، حول خصر (ممدوح) ، الذى أطبق بأصابع إحدى يديه على شعر خصمه ، دافعًا رأسه إلى

الوراء ، ثم وجّه بقبضة يده الأخرى لكمة عنيفة إلى أنفه ..

وصرخ الرجل ، وهو يتخلّى عن خصر (ممدوح) ، ليتركه يسقط أرضًا ، فى حين تدفق الدم غزيرًا من أنفه ، وانتهز (ممدوح) الفرصة ، ليطبق بيديه على ياقة سترة الرجل ، ملقيًا به على الأرض فى حركة سريعة ، بعد أن أخلّ بتوازنه بإحدى قدميه ، كما يفعل لاعبو الجودو ، ووقف وزير الخارجية يراقب ما يدور أمامه فى خوف وقلق ، فى حين استشاط الرجل غضبًا ، فنهض سريعًا ، لينقضّ برأسه على معدة (ممدوح) ، فى ضربة قوية احتبست لها أنفاسه ، وعمد الرجل إلى توجيه ضربة أكثر قسوة ، إلى معدة (ممدوح) ، ثم همّ بأن يتبعها بلكمة أخرى فى فكه ، ولكن ممدوح أطبق على رسغه ، قبل أن ينجح فى تصويب لكمته ، ليلوى ذراعه بقوة خلف ظهره ، بعد أن دار حوله فى حركة مباغته ، وتمكّن من أن يشل حركة غريمه تمامًا ، فى اللحظة التى اقتحم فيها زميلاه المكان ، وصاح الرجل ، الذى يتولّى إصدار الأوامر :

ـ كيف تمكّن هذا الرجل من التخلّص من قيده ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا ببرود أعصاب :

ـ بفضل زميلك الغبى ، الذى نجحت فى استفزازه .

ارتسمت على وجه الرجل ابتسامة قاسية ، قائلًا وهو يصوِّب فوهة مدفعه نحوهما :

ــ إذن فكلاكما يستحق الموت .

وانطلقت عدة رصاصات فى اتجاههما ، فى اللحظة التى جذب فيها (ممدوح) الرجل ، الذى يلوى ذراعه ، ليسقط الاثنان أرضًا ، وقد اتخذ منه (ممدوح) درعًا ، وتطايرت الرصاصات فوق رأسيهما ، وصرخ الرجل :

ــ كلّا .. كلّا يا (فوزان) .. لا تفعل بى ذلك .

نظر إليه زميله بقسوة ، قائلًا وهو يعيد تصويب فوهة مدفعه نحوهما :

ــ عليك أن تتحمل ثمن غبائك ، وتفاخرك الأحمق بقوتك .

وقبل أن ينطلق رصاص المدفع ، كان (ممدوح) قد دس يده تحت سترة غريمه ، ليضع إصبعه على زناد المسدس ، المعلق داخل الجراب الملتف حول إبطه ، وهو يحرِّكه فى اتجاه الرجل الآخر .

وانطلقت رصاصة من ماسورة المسدس ، دون أن يفارق جرابه ، لتسكن قلب الرجل الذى يهدِّدهما .. وشهق الرجل

وهو ينظر إلى (ممدوح) فى ذهول ، وقد انطلقت عدة طلقات عشوائية من مدفعه ، فى اتجاهات مختلفة ، قبل أن يسقط منه على الأرض ، ثم لم يلبث أن تهاوى خلفه صريعًا ..

وانتهز الرجل المفتول العضلات الفرصة ، ليضرب (ممدوح) بمرفقه فى وجهه ضربة قوية ، ثم تدحرج على الأرض فى اتجاه المدفع الآلى ، الذى سقط من زميله ، حيث التقطه سريعًا ، ثم جثا على إحدى ركبتيه ، وهو يصوِّبه فى اتجاه (ممدوح) ، ولكن قبل أن يطلق الرصاص ، كان (ممدوح) قد نجح فى إطلاق رصاصة أخرى ، من المسدّس الذى استولى عليه منه ، لتستقر بين حاجبيه ..

وأطلق الرجل صرخة قصيرة ، ثم تهاوى على الأرض دون حراك ، وقبل أن ينهض (ممدوح) من جلسته ، وجد الفتاة تصرخ فيه بعصبية :

ــ كفى .

اعتدل فى وقفته ، يراها وهى تلصق فوهة مسدسها برأس وزير الخارجية ، قائلة :

ــ ألق المسدس وضع يدك على رأسك ، ولا تحاول الإتيان بأية حركة ، وإلا فجرت رأس هذا الرجل .

نفَذ (ممدوح) ما أمرته به الفتاة ، التى قالت ، وعلى وجهها ملامح التوتر والتردد :

ـــ إننى سأقبل العشرين مليون دولار ، لو استطعت أن تقدمها لى ، خلال ثمان وأربعين ساعة من الآن .

عمد (ممدوح) إلى استخدام ذكائه مرة أخرى ، فقال لها وعيناه تمسحان المكان داخل المخزن :

ـــ لقد أحضرت معى خمسة ملايين دولار ، تحت الحساب ، يمكنك أن تأخذيها الآن ، إلى أن أدبِّر لك باقى المبلغ .

قالت الفتاة ، وقد تألقت عيناها ببريق الجشع :

ـــ وأين هذا المبلغ ؟

أجابها (ممدوح) ، وهو يشير إلى كومة من القش ، فى أحد أركان المخزن :

ـــ إنه داخل حقيبة جلدية ، أودعتها أسفل هذا القش ، تحسبًا للمساومة .

نظرت الفتاة بطرف عينها إلى كومة القش ، ثم قالت بعد شىء من التردد :

ـــ حسنًا .. اذهب وأحضرها .

تحرك (ممدوح) خطوتين فى اتجاه كومة القش ، ولكن الفتاة صرخت تستوقفه ، قائلة :

ـــ انتظر .

وقالت وهى تصوِّب مسدسها فى اتجاهه ، وفى عينيها نظرة ارتياب :

ـــ وما أدرانى .. أنك لا تخفى سلاحًا ، تريد استخدامه ضدى ، تحت هذا القش .

هز كتفيه بلا مبالاة ، قائلًا :

ـــ حسنًا .. خذيها أنت ، مادمت لا تثقين بىَ .

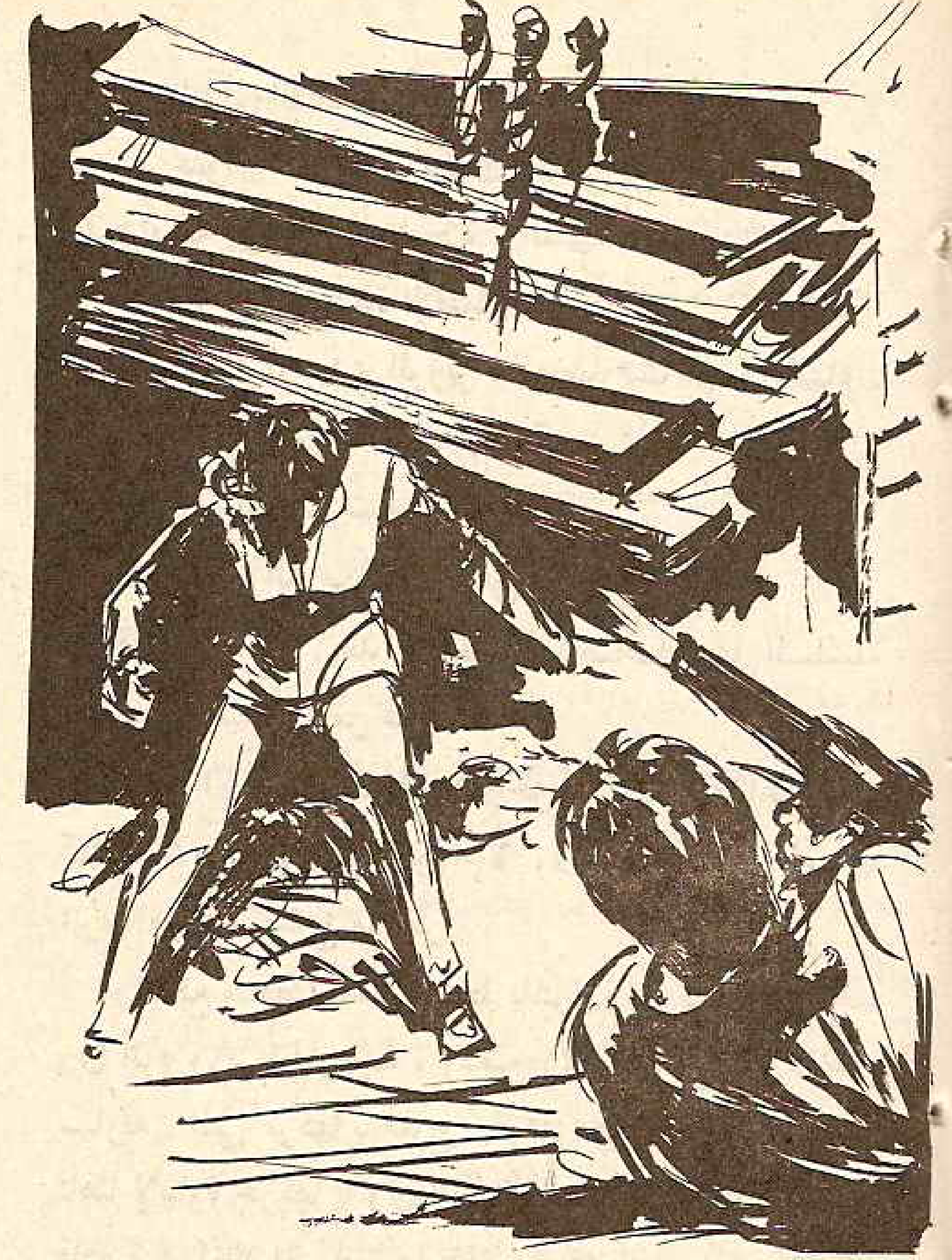
قالت الفتاة محذِّرة :

ـــ سأفعل .. قف مكانك ، ولا تحاول أن تتحرك قيد أنمله ، وتذكَّر أننى سأطلق الرصاص عليك فى الحال ، لو لم تلتزم بذلك .

التزم (ممدوح) بما أمرته به الفتاة ، التى أخذت تتراجع إلى الوراء بظهرها ، وهى مستمرَّة فى تصويب مسدسها نحوه فى حين أخذت عيناه تتحركان داخل مقلتيهما ، لترصدا كومة من الألواح الخشبية ، متراصة فوق رف خشبى كبير ، بالقرب من سقف المخزن ، وفوق القش الذى اتجهت إليه الفتاة تمامًا ،

ثم تحركتا إلى أسفل حيث استقرتا على المدفع الآلى ، الذى سقط من غريمه ، والملقى على بعد ثلاث خطوات من قدميه ، وانتظر حتى وصلت الفتاة إلى كومة القش ، حيث جثت على إحدى ركبتيها ، وهى مستمرة فى النظر إليه ، والمسدس فى يدها ، وهى تدفع اليد الأخرى داخل كومة القش ، بحثًا عن الحقيبة المزعومة ، التى لم يكن لها وجود ، وقبل أن تتبين حقيقة الخدعة ، التى استخدمها (ممدوح) كان هذا الأخير قد ألقى بنفسه أرضًا فى سرعة البرق ، متناولًا المدفع الآلى ، وانطلقت رصاصة من الفتاة فى اتجاهه ، ولكنها أخطأته نظرًا للمفاجأة ، وللوضع الذى كانت عليه ، والذى لم يُمكّنها من دقة التصويب ، فى حين . كان (ممدوح) أكثر دقة منها ، حيث أطلق دفعة من الرصاصات ، فى اتجاه الرف الذى يحمل الألواح الخشبية ، فحطَّمه لتتهاوى تلك الألواح الضخمة فوق الفتاة دفعة واحدة ، ففقدت الوعى على الفور ، وقد اختفى معظم جسدها أسفل هذه الألولح ، ونهض (ممدوح) يطلق زفيرًا حادًا ، قائلًا :

ـــ يا لها من مغامرة ! .. لقد تقابلت مع الموت عدة مرات ، خلال ما لا يزيد على عشرين دقيقة .



وقبل أن تتبين حقيقة الخدعة ، التى استخدمها (ممدوح) كان هذا الأخير قد ألقى بنفسه أرضًا فى سرعة البرق ، متناولًا المدفع الآلى .. •

ثم نظر إلى الفتاة الغائبة عن الوعى ، قائلًا :

ـــ عفوًا يا آنستى ، ولكنك دفعتنى إلى ذلك دفعًا .

وتوجّه إلى وزير الخارجية ، الذى كان يتصبب عرقًا ، وجسده يرتعد من شدة الانفعال ، قائلًا :

ـــ لا تقلق يا سيِّدى الوزير ، لقد شارفت المهمة الانتهاء ، وستعود إلى الوطن سالمًا بمشيئة الله .

قال الوزير بصوت مرتعش :

ـــ أأنت واثق من ذلك؟ هل زال الخطر تمامًا؟

قال (ممدوح) ، بعد أن أطلق عدة رصاصات على السلسلة الحديدية ، ليحرِّره من قيده :

ـــ فى الحقيقة لا أستطيع أن أجزم بذلك ، فلا أعرف إن كان هناك مزيد من الإرهابيين أم لا ، فى هذا المكان .. المهم أن نهرب من هنا بأسرع ما يمكن .

واندفع متخطيًا السور المحيط بالمنزل والمخزن إلى الخارج ، وفى أثره وزير الخارجية ، ودفع (ممدوح) الوزير داخل سيارته ، التى تركها بالخارج ، ثم قفز خلف عجلة القيادة ، تأهبًا لإدارة محركها ، وفى تلك اللحظة كانت هناك سيارة قادمة فى اتجاه المنزل ، يستقلّها شخصان ، وما أن لمحا

سيارة (ممدوح) تتحرك ، استعدادًا لمغادرة المكان ، حتى صرخ الرجل الجالس أمام عجلة القيادة فى زميله ، قائلًا :

ـــ ما هذا؟ من أين أتت هذه السيارة الغريبة؟

وضع زميله المنظار على عينيه ، ناظرًا فى اتجاه سيارة (ممدوح) ، وهو يهتف :

ـــ يا للكارثة إن الوزير المصرى داخلها !! يبدو أن هذا الشخص يحاول مساعدته على الهرب .

وانطلقت سيارة (ممدوح) ، وفى أثرها سيارة الإراهبيين ، حيث أطلق الرجل الجالس أمام عجلة القيادة العنان لسيارته ، لتنهب الأرض نهباً ، وهو يضغط أسنانه قائلًا :

ـــ لا أدرى كيف نجح هذا الشخص ، فى الهروب من (فوزان) والآخرين؟

ردّ عليه زميله ، وهو يتناول بندقيته الآلية من المقعد الخلفى ، قائلًا :

ـــ حاول أن تقترب من هذه السيارة .. سأطلق الرصاص على عجلاتها .

وما أن أصبحت سيارة الإرهابيين على مسافة عدة أمتار من سيارة (ممدوخ) ، حتى دفع المسلّح بندقيته ورأسه من خلال

نافذة السيارة ، مصوَّبًا فوهتها فى اتجاه عجلات سيارة (ممدوح) ، وانطلقت عدة رصاصات ، أصابت الإطـــار المعدنى ، المحيط بعجلات السيارة التى يستقلّها (ممدوح) ، دون أن تصيب العجلات ذاتها ، فى حين انتبه (ممدوح) إلى الخطر المحدق به ، فنظر إلى وزير الخارجية قائلًا :

ـ يبدو أن متاعبنا لم تنته بعد .

وزاد من سرعة سيارته ، ليبتعد عن السيارة المطاردة ، وهو يطوى الطريق طيا ، وبدا من سرعة السيارة كأن إطاراتها لاتمسّ الأرض ، واجتاز (ممدوح) عددًا من الطرق الجبلية ، والطرقات غير المتساوية ، والسيارة المطاردة فى أثره ، حتى لمح منحنى يقوده إلى شارع ضيق ، يسمح بصعوبة بمرور سيارة واحدة ، من اتجاه واحد ، فتابع طريقه بنفس السرعة الجنونية ، التى يقود بها سيارته ، وهو يتخذ طريقه فى ذلك المنحنى ، وما أن اجتاز هذا الشارع الضيق ، حتى أوقف سيارته فى عرض الطريق ، بحيث تسد الشارع تمامًا ، ثم أسرع بمساعدة وزير الخارجية على مغادرتها ، وانطلقت السيارة المطاردة بنفس السرعة الخطرة الجنونية ، محاولة اللحاق بـ(ممدوح) حيث أدار سائقها عجلاتها فى اتجاه المنحنى ، الذى

دلف منه (ممدوح) ، وقد أطلّ زميله من نافذتها ، حاملًا بندقيته ، ولكن فجأة وجدا سيارة (ممدوح) تسد عليهما الطريق ، ولم يستطع سائق السيارة أن يكبح جماح سرعتها ، فى الوقت المناسب ، بعد أن فاجأته سيارة (ممدوح) ، وهى على هذا النحو ، فاصطدم بها فى عنف ، اختلّت معه سيطرته على عجلة القيادة ، ومن خلف أحد المنازل الحجرية القديمة وقف (ممدوح) يراقب اصطدام سيارة الإرهابيين بسيارته وما لحقهما من إصابات قائلًا فى أسف :

ـ كانت سيارة جيدة للغاية ، ولكن لم يكن هناك مفرّ من التضحية بها ، فى موقف عصيب كهذا .

ثم نظر إلى وزير الخارجية ، قائلًا :

ـ وأظننا سنضطر يا سيادة الوزير ، إلى إكمال الطريق على قدمينا ، وقد يسعدنا الحظ ، فنتمكّن من إيقاف إحدى السيارات العابرة ، لكى تلتقطنا ، وتذهب بنا إلى المدينة .. وإلى شاطئ النجاة ..

* * *

استرخى (ممدوح) فى مقعده ، بالطائرة المتجهة إلى (القاهرة) ، وإلى جواره وزير الخارجية ، الذى أسلم نفسه

لنوم عميق ، وبينما هو يطالع إحدى المجلات فى استرخائه .
أطل عليه رأس شخص من المقعد الخلفى ، وعلى وجهه ابتسامة عريضة ، قائلا :

ــ أهنئك بنجاحك فى إتمام مهمتك يا سيادة المقدَّم .

نظر (ممدوح) بطرف عينيه جانبًا ، قائلًا :

ــ أشكرك يا (رشدى) .. أنت أيضًا قمت بعملك جيدًا فى (طهران) ، فقد سهّلت لنا كافة الأمور الإدارية والروتينية ، للعودة بوزير الخارجية إلى (القاهرة) .

ضحك (رشدى) قائلًا :

ــ وماذا يكون هذا أمام مواجهتك المثيرة للإرهابيين ، الذين اختطفوا الوزير ؟ .. على كل حال ، لقد تلقيت منذ لحظات برقية عاجلة ، كلِّفت إبلاغك إيّاها .

وقدم له نص البرقية التى قرأ فيها (ممدوح) : « أهنئك بالنجاح الكبير ، الذى أحرزته فى مهمتك ، وأريد منك أن تتوجه إلى مكتبى ، فور وصولك إلى مطار (القاهرة) .. »
التوقيع/ « اللواء مراد » .

وأدرك (ممدوح) أنه لن يحصل على إجازة هذه المرة أيضًا ، بل على مهمة ..
مهمة خاصة .

★ ★ ★

٣ ــ دليل الإثبات ..

استقل (ممدوح) السيارة ، التى كانت فى انتظاره بالمطار ، بعد أن نجح فى الإفلات من الاستقبال الرسمى لوزير الخارجية ، وجموع الصحفيين ، التى تزاحمت بمطار (القاهرة) الدولى ، لمعرفة تفاصيل الأحداث المثيرة ، التى تعرّض لها الوزير المصرى ، منذ أن نجحت تلك الجماعة الإرهابية فى اختطافه فى (طهران) ، ومساومة الحكومتين الإيرانية والمصرية عليه ، إلى أن تمكّن من الهرب ، والعودة إلى (القاهرة) ، بمساعدة ضابط مصرى مجهول الاسم ، طبقا للتعليمات السرية ..

وتوجّه (ممدوح) على الفور إلى الدور الرابع ، من إدارة العمليات الخاصة ، حيث توجد حجرة رئيس الإدارة ، اللواء (مراد) ، وكان (ممدوح) من أولئك الضباط القلائل ، المسموح لهم بدخول غرفة مدير الإدارة ، عن طريق باب جانبى مباشر ، دون المرور بحجرة السكرتارية ، وطرق (ممدوح) الباب

عدة طرقات ، قبل أن يأتيه الصوت من الداخل قائلًا :

ـــ ادخل .

دخل (ممدوح) ليجد اللواء (مراد) جالسًا فى مكانه المعتاد ، خلف مكتبه الذى تزاحمت عليه الأوراق والملفات ، وأجهزة الاتصال المختلفة ، والقى اللواء (مراد) قلمه ، لدى مشاهدته (ممدوح) ثم غادر مقعده ، ليدور حول مكتبه ، ويصافحه فى ترحاب واضح ، قائلًا :

ـــ أهلًا (ممدوح) .. حمداً لله على سلامتك ، تقبّل تهنئتى على نجاحك فى أداء مهمتك .

ممدوح :

ـــ أشكرك ياسيِّدى .

دعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس ، قائلًا :

ـــ اجلس يا (ممدوح) ، ثم عاد يجلس أمام مكتبه ، قائلًا :

ـــ يبدو أننى لن أستطيع أن أمنحك الإجازة التى تستحقها بعد الجهد الذى بذلته فى مهمتك ، لأننى أحتاج إليك فى مهمة أخرى عاجلة ، وهذا مادعانى إلى مطالبتك بالتوجّه إلى الإدارة ، بمجردّ وصولك إلى المطار .

ممدوح :

ـــ إننى جاهز للعمل ، وتحت أمرك ياسيِّدى اللواء (مراد) :

ـــ أنت تعرف أنه هناك نزاع عسكرى ، قائم على الحدود الآن ، بيننا وبين دولة (أسترتان) بعد أن قامت بالاعتداء على بعض المواقع على حدودنا ، على الرغم من الهدنة القائمة بيننا الآن ، والقيادة العسكرية ترى أنهم يعدون العدة للقيام بعدوان جديد على أراضينا ، ويسعون فى سبيل ذلك إلى الحصول على أسلحة ومعدات عسكرية متقدّمة ، من مناطق ودول مختلفة فى العالم ، ومن ضمن هذه الدول (فرنسا) ، التى تعهدت حكومتها بحظر إرسال كافة أنواع الأسلحة والمعدات العسكرية إلى (استرتان) ، باعتبارها دولة معتدية ، وتنفيذاً لسياسة تلتزم بها (فرنسا) ، منذ عدة سنوات ، بعدم توريد أية أسلحة لأية دولة ، تبدأ بالعدوان على دولة أخرى ، وعدم مساندتها سياسيًا فى المحافل الدولية .

ممدوح :

ـــ نعم .. ولقد أكّدت (فرنسا) سياستها هذه رسميًا ، على لسان المتحدّث الرسمى لرئاسة الجمهورية الفرنسية ، وأعلنت أنها لن تُصدِّر أية أسلحة إلى (استرتان) ، كما أنها

ستوقف أية صفقات تم الاتفاق عليها من قبل ، ولن تلتزم بتنفيذها ، قبل أن ينتهى النزاع القائم بينها وبيننا ..

أكمل اللواء (مراد) قائلًا :

ــ وتنفيذًا لذلك أصدرت الحكومة الفرنسية أمرًا ، إلى جميع مؤسسات الأسلحة ، سواء التابعة لها مباشرة ، أو المؤسسات الخاصة ، التى تعمل تحت رقابتها ، بالتوقف عن التعامل مع أية تعاقدات عسكرية ، مع الحكومة الاسترتانية ، أو من يمثلها ، سواء بشكل مباشر ، أو عن طريق وسيط ، وأن جميع هذه المؤسسات ستخضع لرقابة صارمة فى هذا الشأن ، وحتى صدور أوامر أخرى .

ممدوح :

ــ ما المشكلة التى تواجهنا إذن ؟

اللواء (مراد) :

ــ المشكلة هى أنه هناك تقارير واردة من المخابرات الحربية ، تفيد بل تؤكد وصول شحنات عسكرية متقدّمة بالفعل إلى (استرتان) ، خلال الأسابيع الأخيرة ، وبعضها يمكن أن يشكّل خطرًا على أمننا القومى ، بل والأخطر من ذلك أن هذه الشحنات ما زالت مستمرة حتى الآن .

قال (ممدوح) بدهشة :

ــ كيف ؟ أيعنى هذا أن الحكومة الفرنسية تتبع سياسة سرية ، مختلفة عن سياستها الرسمية المعلنة ؟

اللواء (مراد) :

ــ لقد ناقشت حكومتنا الحكومة الفرنسية فى هذا ، ولكنهم أكّدوا لنا التزامهم التام بسياستهم الرسمية فى هذا الشأن ، بل اطلعوا ممثل الحكومة المصرية على الأمر الصادر ، إلى جميع مؤسسات الأسلحة الفرنسية ، بعدم التعامل ــ بأية صورة ــ مع وسطاء أسترتانيين ، وقدّموا المستندات الدالة على ذلك ، وعلى الرغم من هذا فتقارير المخابرات الحربية أيضًا تؤيد بصورة قاطعة ، وصول أسلحة فرنسية متقدّمة إلى (استرتان) ، وأنه يجرى تخزينها فى مخازن سرية خاصة بالجيش الأسترتانى ، وتغيير معالمها وهيكلها الخارجى ، لإخفاء هويتها ، وهذا يعنى أن بعض ، أو إحدى المؤسسات العسكرية الفرنسية ، تقوم بتهريب هذه الأسلحة إلى (استرتان) ، بطريقة سرية ، أو بوساطة بعض السماسرة ، دون علم الحكومة الفرنسية ، وبالمخالفة لأوامر الحظر الصادرة إليهم .

ممدوح :

— ألم تطلع حكومتنا الحكومة الفرنسية على شكوكها بهذا الشأن ؟

اللواء (مراد) :

— لقد صرّحت الحكومة المصرية للمسئولين الفرنسيين ، بما لديها فى هذا الشأن .

ممدوح :

— وماذا كان رد المسئولين الفرنسيين ؟

اللواء (مراد) :

— طالبونا بالدليل .

ممدوح :

— هذا يعنى أنه يتعيَّن علينا تقديم دليل قاطع ، على تعامل بعض ، أو إحدى المؤسسات العسكرية الفرنسية ، مع المسئولين الاسترتانيين ، فى تهريب الأسلحة ، حتى يمكن اتخاذ إجراء حاسم ، ضد هذه المؤسسة ، والحيلولة دون إرسال المزيد من الأسلحة الفرنسية المتقدمة إلى (أسترتان) .

اللواء مراد :

— تمامًا ، وهذا أمر يتعلق كما ترى بالأمن القومى لبلادنا ، وخاصة فى ظل الظروف المحيطة بنا ، وشبح الحرب الذى يخيِّم على المنطقة .

ممدوح :

— اعتقد أننى قد فهمت الآن طبيعة مهمتى ، فسوف يناط بى البحث عن هذا الدليل وتقديمه .

اللواء (مراد) :

— إننا بحاجة ماسة لهذا الدليل ، لكى نواجه به الحكومة الفرنسية والعالم ، ونوقف أحد مصادر التسليح الهامة لأعداء بلادنا .

قال (ممدوح) بلهجة قاطعة :

— إننى مستعد لهذا التكليف فورًا .

اللواء (مراد) .

— شكوكنا منحصرة فى مؤسسة (فورجيه) الحربية ، وهى مؤسسة حربية خاصة ، يمتلكها مليونير فرنسى ، يُدعى (ميشيل فورجيه) ، له علاقات وطيدة بالأسترتانيين ، وكان أحد المعترضين على قرار الحكومة الفرنسية ، بوقف شحنات الأسلحة إلى (أسترتان) ، ويعتبر (فورجيه) من أهم مورِّدى الأسلحة إلى الجيش الفرنسى ، وبعض البلاد الأفريقية والآسيوية ، وعدد من بلدان أمريكا اللاتينية ، فبعض تقارير المخابرات الحربية تشير إلى وصول بعض أنواع الرادارات

المتقدِّمة ، التى تخصَّصت مؤسسة (فورجيه) فى إنتاجها ، إلى (أسترتان) ، منذ أسبوعين فقط .

ممدوح :

ـــ وما المعلومات الشخصية ، المتوافرة عن هذا الرجل ؟

اللواء (مراد) :

ـــ إنه رجل غريب الأطوار ، لديه عدد من الحراس الأشرار ، ذوى التاريخ الإجرامى العتيد ، يميل إلى التحدى والمغامرة ، وجمع العملات الأثرية ، وفى بعض الأوقات ، يميل إلى الظهور بشدة فى المجتمعات الفرنسية والأوربية ، بحيث يصبح حديث هذه المجتمعات ، وخاصة بشأن مكاسبه الخيالية ، التى يحقِّقها من القمار ، وهواياته الغريبة ، وأوقات أخرى يختفى عن هذه المجتمعات تمامًا ، ويعيش فى عزلة مطلقة ، فى جزيرته الخاصة ، بالقرب من السواحل اليونانية ، حيث لا يسمح لأحد أيًا كان بالاقتراب من هذه الجزيرة ، وإلا اختفى أثره من الوجود .

ممدوح :

ـــ هذا يضفى على الرجل غموضاً مثيرًا بالفعل .

اللواء (مراد) :

ـــ إن لـ (ميشيل فورجيه) أصدقاء عديدين ، من بين المسئولين الفرنسيين ، فهو على الرغم من غموضه ، وشخصيته المتطرفة ، يعرف كيف يكسب الأصدقاء المهمين ، ويطوِّعهم لحسابه وقت اللزوم ؛ لذا فتوجيه أى اتهام له يعد أمرًا غير سهل أو مقبول على الإطلاق ، دون إقامة دليل حقيقى على صدق هذا الاتهام .

ممدوح :

ـــ وهذا يعنى أننى سأسير فى مهمتى هذه ، وسط الأشوك .

اللواء (مراد) :

ـــ نعم .. إنه تعبير يتفق مع هذه العملية تمامًا ، فنحن نريد مايثبت تورّط هذا الرجل فى صفقات الأسلحة المريبة ، التى وصلت إلى (أسترتان) مؤخرًا ، دون أن نتورَّط نحن فى أية مسئولية ، قد تدفع هذا الرجل إلى اتهامنا بالتجسّس عليه ، أو الإساءة للعلاقات المصرية الفرنسية .

ونهض (ممدوح) قائلًا :

ـــ ومتى أسافر إلى (باريس) ؟

اللواء (مراد) :

ـ غدًا بمشيئة الله .. وسأكلف الإدارة الفنية إعداد ما يلزمك فى هذه الرحلة ، كما سيسهِّل لك أحد عملائنا المحليين فى (باريس) مهمتك ، ويطلعك على المكان الذى يتواجد فيه (فورجيه) عادة .. ولكن احترس كثيـرًا يا (ممدوح) ، فمهمتك ليست بالمهمة السهلة .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يحييه فى ثقة وحزم :

ـ أعلم ذلك يا سيِّدى .. أعلمه تمامًا .

وحانت ساعة العمل .

* * *



ابتسم (ممدوح) ، وهو يحييه فى ثقة وحزم :
ـ أعلم ذلك يا سيّدى .. أعلمه تمامًا .. وحانت ساعة العمل .

٤ ــ الخدعة البارعة ..

دلف (ممدوح) إلى صالــة القمــار الخاصة بفنــدق (فرساى) ، فى قلب العاصمة الفرنسية (باريس) ، وأسرع أحد الأشخاص يستقبله ببشاشة وترحاب ، قائلًا :

ــ مسيو (ممدوح) .. أليس كذلك؟

أجابه (ممدوح) :

ــ نعم .

رد عليه الرجل ، وهو يحاول أصطحابه إلى الداخل :

ــ (مايك كزنجيان) لابد أنهم أخبروك باسمى ، وبأننى أعمل لحساب المخابرات المصرية .

ولكن (ممدوح) حدجَه بنظرة باردة ، دون أن يتحرك من مكانه ، وضحك الرجل القصير القامة قائلًا :

ــ آه .. إنك تريد كلمة السر المتفق عليها .. حسنًا .. لقد جئت إلى هنا بحثًا عن سلاح الشيطان .. أليس كذلك؟

أكمل (ممدوح) :

ــ وتدميره .

وابتسم (مايك) قائلًا :

ــ أعتقد الآن أن كلًا منا يستطيع أن يثق بالآخر .

وتقدم الرجل وبصحبته (ممدوح) بين الموائد الخضراء ، حيث قال الرجل فى مودّة :

ــ هل تعرف أننى ولدت فى (مصر)؟ .. إننى أرمنى ، ولكن والدىّ عاشا فى (مصر) ، وعشت فيها جزءًا كبيرًا من حياتى ، وأعتقد أنه هناك رباط وثيق يربطنى بهذا البلد .

بدا الرجل ظريفًا وودودًا ولكن (ممدوح) لم يكن يهتمّ كثيرًا بحديث الذكريات ، الذى يحاول أن يجريه معه ، بقدر اهتمامه بالهدف من المهمة ، التى جاء من أجلها ؛ لذا حاول أن ينبهه إلى الغرض من مقابلته ، ولكن الرجل أدرك مايريد أن يقوله (ممدوح) ، فقال له قبل أن ينطق :

ــ إنك تبحث عن (ميشيل فورجيه) .. أليس كذلك؟

وقبل أن يجيبه (ممدوح) ، أشار الرجل إلى شخص طويل القامة ، شاحب الوجه ، رفيع الشارب ، يقف أمام عجلة الروليت ، قائلًا :

ــ إنه يقف الآن أمامك تمامًا .

نظر (ممدوح) عبر مائدة الروليت، إلى الرجل المنشود، الذى كان ينظر إلى دوران عجلة الروليت باستعلاء واضح، وقد بدا واثقا من نفسه تمامًا..

وفجأة تعالت الصيحات.. لقد أشار السهم إلى الرقم، الذى وضع عليه (فورجيه) رهانه، وبدا من صيحات المحيطين به أنه قد ربح مبلغًا لا يستهان به، حتى أن الرجل، الذى يشرف على المائدة، التى تدار عليها اللعبة، كان يتصبّب عرقًا، وفى هدوء قام (فورجيه) بجمع فيشات اللعب، ليضعها على رقم آخر، وحاول أحدهم أن يضع فيشاته على نفس الرقم، الذى وضع عليه (فورجيه) فيشاته، ولكن (فورجيه) منعه بإشارة من يده، قائلًا بتعال:

ـــ عفوًا.. لا أحب أن يشاركنى أحد الرقم، الذى أختاره لنفسى.

وقال له الرجل محتجًا:

ـــ ولكن هذا يخالف قواعد اللعب.

قال الرجل، الذى يشرف على مائدة (الروليت)، بلهجة معتذرة:

ـــ عفوًا يا سيدى، ولكن مسيو (فورجيه) يتمتع

باستثناء خاص.

ولكن الرجل استمر فى احتجاجه، محاولا الحديث، وهو يقول:

ـــ ولكن...

ولكن فى هذه اللحظة أطبق أحد الأشخاص الأشداء بأصابع حديدية، على ذراع الرجل، قائلا بلهجة صارمة على الرغم من صوته الهامس:

ـــ مسيو (فورجيه) لا يحب المضايقات.. هناك عشرات الألعاب الأخرى، يمكنك أن تمارسها فى هذه الصالة، بعيدًا عن هذه المائدة، فإذا لم تكن تجيد أية لعبة أخرى، فمن الأفضل لك أن تذهب إلى منزلك، أو إلى غرفتك، وتحصل على حمام دافئ، ثم تسترخى فى الفراش.. أعتقد أن هذا سيكون أفضل بالنسبة لك، من الاسترخاء فى أحد القبور.

ازدرد الرجل لعابه، وهو ينظر إلى محدثه فى اضطراب بالغ، ثم لم يلبث أن غادر المائدة، فى اللحظة التى تعالت فيها الصيحات مرة أخرى، فقد توقف السهم أمام الرقم الجديد، الذى اختاره (فورجيه)، وتضاعفت أرباحه، ونظر المشرف على المائدة إلى (فورجيه)، وهو يقول فى حرج:

ـــ مسيو (فورجيه) .. هل تنوى أن تستمر ؟

ابتسم (فورجيه) لأول مرة ، وهو ينظر إلى المشرف على المائدة ، وقد بدا فى حالة يرثى لها ، قائلاً :

ـــ أعتقد أن هذا يكفى الليلة ، فقد سئمت اللعب .. موعدنا غدًا يا (لوجان) ، وأرجو أن أبقى محتفظًا بحظى السعيد .

وانصرف (فورجيه) بعيدًا عن المائدة ، وفى أثره حارسه الخاص ، الذى قام بجمع فيشات اللعب ، وتوجّه لصرفها .

وأخذ المشرف على المائدة يجفّف عرقه ، فى حين اقترب منه شخص آخر ، كان يرمق (فورجيه) بكراهية واضحة ، وسمع (ممدوح) المشرف على مائدة (الروليت) ، وهو يحدث ذلك الشخص ، قائلاً :

ـــ سيِّدى المدير .. ذلك الرجل يحقق أرباحًا هائلة على مائدة (الروليت) ، وأنا أشك فى حظه السعيد هذا .

قال مدير الصالة بضيق واضح :

ـــ لقد أجرينا تحريات كاملة ، بشأن أرباحه هذه ، ولكنا لم نتوصّل لأى شىء يدينه ، إنه لا يغش فى اللعب ، وفضلاً عن هذا فأنت تعرف (فورجيه) ، إن له نفوذًا واسعًا يحكم

(باريس) بأسرها ، والكل يجامله ويخشى إغضابه .. إنه يستطيع أن يغلق هذه الصالة ، بل يهدم هذا الفندق ، لو غضب منا .

قال المشرف على المائدة :

ـــ ولكنه سيفلسنا ، إذا ما استمر على هذا النحو .

أجابه المدير :

ـــ اطمئن .. إننى أعرف (فورجيه) جيدًا .. إنه ليس بحاجة إلى النقود ، فهو بنك متنقل .. إنه يلعب لإشباع هوايته ، وإرضاء روح التحدى لديه ، وعندما يملّ ، ولا يجد من ينافسه سيتوقف ، إنه يرد الأموال التى كسبها ، فى بعض الحالات ، ويتنازل عنها إلى إدارة الفندق ، أو صالة اللعب .

هز المشرف على المائدة رأسه فى حيرة ، قائلاً :

ـــ إنه شخص غريب حقاً .

وابتسم (ممدوح) لدى سماعه هذه العبارة ، مرددًا :

ـــ إنه شخص يستحق الاهتمام بالفعل .

وسأله (مايك) :

ـــ ما رأيك ؟

التفت إليه (ممدوح) ، قائلاً :

ـــ فى ماذا؟ فى الرجل ، أم فى طريقة لعبه؟

أجابه (مايك) :

ـــ فى الاثنين .

(ممدوح) .

ـــ الرجل مثير للاهتمام بالفعل ، كما أنه يغش فى اللعب .

نظر إليه (مايك) بدهشة ، قائلًا :

ـــ كيف؟

(ممدوح) .

ـــ لا أدرى ، فيده لم تلمس مائدة اللعب مرة واحدة ، فى أثناء دوران عجلة (الروليت) ، ولكننى لاحظت لازمة معينة يكرِّرها كل مرة ، قبل أن تتوقف العجلة الدائرية ، ويشير السهم على الرقم الذى راهن عليه .. ألم تلحظ ذلك؟

ـــ فى الواقع .. لم ألحظ أى شىء بشأن هذه الأزمة ، التى تشير إليها ، ففى تلك اللحظة الحرجة ، التى تستعد فيها العجلة للتوقف ، يكون كل اهتمامى منصبًا على الرقم ، الذى سيشير إليه السهم ، إن الإثارة كلها تكمن فى هذه اللحظة .

(ممدوح) :

ـــ أما أنا فلم ألق بالًا للعجلة ، وإنما كان اهتمامى منصبًا

تماما على الرجل ، وعلى حركاته وسكناته .. ولقد لاحظت أنه يحرِّك مرفقيه أمامًا ، فى كل مرة تستعد فيها العجلة للتوقف ، ثم يقوم بجذب أساور قميصه جذبة خفيفة ، من أسفل كم سترته ، وتكون لمسته الأخيرة للزر الذهبى ، الموجود فى أسورة قميصه اليمنى ، وبعدها يكون السهم قد توقَّف ، ليشير إلى الرقم الرابح .. أى الرقم الذى راهن عليه (فورجيه) .

حدق فيه (مايك) بدهشة ، ثم حلَّت نظرة ساخرة محل هذه الدهشة ، وهو يقول لـ (ممدوح) :

ـــ هل تعنى أن هناك علاقة ، بين تحريك مرفقه وملامسة أصابعه لهذا الزر الذهبى ، فى كم قميصه ، وبين حركة عجلة (الروليت) ؟

ممدوح :

ـــ إنه مجرد إحساس وتخمين .

اطلق (مايك) ضحكة قصيرة ، قائلًا :

ـــ خيالك يشطح بعيدًا يامسيو (ممدوح) ، فلا أدرى ماهى العلاقة ، بين رجل يحرص على مراعاة هندامه ، وبين الأرباح التى يحققها على مائدة (الروليت) .. إنه مجرَّد تصرف تلقائى طبيعى ، من رجل يحرص على أناقته مثل (فورجيه) .

ممدوح :
ــ ربما ، ولكن تكرار هذا التصرّف ، فى كل مرة تسبق توقف عجلة (الروليت) ، أمر يثير التساؤل ، ألست معى فى ذلك ؟

أمسك (مايك) ذقنه ، وبدت عليه دلائل الحيرة ، فى حين وضع (ممدوح) يده على كتفه ، وهو يصحبه بعيدًا عن المائدة ، قائلًا وهو يلقى نظرة على (فورجيه) ، الذى كان يستعد لمغادرة الصالة :

ــ على كل حال ، فأنا أرغب فى الاطلاع على أزرار (فورجيه) الذهبية .

تراجع (مايك) برأسه إلى الوراء ، قائلًا فى ذعر :

ــ مسيو (ممدوح) ...

ولكن (ممدوح) قاطعه ، وعلى وجهه ابتسامة واثقة :

ــ لا تخف .. كل ما أريده منك هو رقم الجناح ، الذى ينزل فيه (فورجيه) ، فى هذا الفندق ، وبعدها سأقوم بالعمل وحدى .. أليس كذلك ؟

* * *

راقب (ممدوح) (فورجيه) ، وهو يستقل سيارته مغادرا

الفندق ، ثم صعد إلى الطابق الحادى عشر ، حيث الجناح الذى يقيم فيه ذلك الرجل ، الذى يمتلك ثمانين فى المائة ، من واحدة من أكبر مؤسسات الإنتاج الحربى الفرنسى ، وما أن غادر (ممدوح) المصعد حتى لاحظ ذلك الحارس الضخم ، الذى يقف على باب الجناح الخاص بـ (ميشيل فورجيه) ، وقد عقد ذراعيه أمام صدره ، وبرز مسدسه الضخم أسفل سترته ..

وأشعل (ممدوح) سيجارة ، وهو ينظر إلى الرجل ، وعلى شفتيه ابتسامة شبه ساخرة ، فاقترب منه الرجل ، قائلًا بغلظة ، وهو يتحسَّس مسدسه :

ــ ما الذى تفعله هنا ؟ ولماذا تحملق فىّ هكذا ؟

نفث (ممدوح) دخان سيجارته فى وجه الرجل ، قائلا وهو يشير إلى الباب :

ــ لأننى أنوى الدخول إلى هنا ، برغم أنفك .

همّ الرجل بجذب مسدسه وهو يحدج (ممدوح) بنظرة متحفزة ، ولكن هذه النظرة سرعان ما اختفت ، وقد أطبق جفنيه ، ليتهاوى على الأرض فاقد الوعى دون حراك ، وألقى (ممدوح) السيجارة على الأرض ، ليدهسها بقدميه ، بعد أن أحدث دخانها المخدر ، الذى نفثه فى وجه الرجل ، أثره ، ثم

نزع قطعتين من البلاستيك من فتحتى أنفه ، استخدمهما للحيلولة دون استنشاق الغاز المخدر ، ومنع أثره عليه ، قائلًا للرجل الممدَّد أمامه ، وهو يبتسم بسخرية :

ــ ألم أقل لك إننى سأدخل إلى هذا المكان ، برغم أنفك ؟

ثم جرّه من يديه على الأرض ، حيث أخذ منه المفتاح ، ليفتح باب الجناح الخاص ودلف إلى الداخل وهو يجر الرجل مرة أخرى ، ليرقده بالقرب من الباب ، وأسرع يفتش محتويات الدولاب الخاص بـ (فورجيه) بدقة وعناية ، حتى عثر على علبة صغيرة ، عثر بداخلها على الأزرار الذهبية ، التى يستخدمها (فورجيه) ، فتناولها باهتمام ، قائلًا :

ــ والآن فلنفحصها جيدًا .

أخذ يفحص الأزرار بعناية ودقة ، دون أن يجد بها أى شىء غير عادى ، ولاحظ أن تلك الأزرار ، التى كانت تأخذ شكلًا بيضاويًّا ، محاطة بإطار أسود رفيع ، يتوسّط إطارها الذهبى ، فوضع إصبعيه على هذا الإطار ، من الجهتين ، وهو يحركه برفق ، ووجده ينفصل عن الزر الذهبى ، وهنا أمسك هذا الإطار المعدنى الرفيع بين إصبعيه ، وهو يتأمّله بدقة .

كان يبدو ــ بالنسبة له ــ إطاراً عاديًا ، لا يمكن أن يلفت

النظر فى شىء ، غير أن وضعه فى أزرار ذهبية فاخرة كهذه ، هو الشىء الملفت للنظر بالفعل .

وتناول (ممدوح) مقصًا من حجرة (فورجيه) ، ثم تناول سكينًا رفيعًا من جيبه ، وغرز حد السكين فى المنضدة المجاورة لسرير (فورجيه) ، وأدخلْ إحدى فتحتى المقص فى جسم السكين ، ثم ضرب المقص بإحدى راحتيه فى قوة ، ليدور سريعًا حول السكين ، وفى أثناء دورانه وجّه الإطار المعدنى الرفيع نحوه ، وهو يضغط على حروفه ضغطة خفيفة ، فتوقّف المقص على الفور ، دون أن يكمل دورانه ، وابتسم (ممدوح) قائلًا :

ــ هكذا اتضحت اللعبة .. موجِّه إلكترونى ، يختفى داخل إطار أحد الأزرار الذهبية ، دون أن يلفت انتباه أحد ، لدقته الشديدة ، وفى اللحظة المناسبة ، وعند الرقم الذى يسعى (فورجيه) لإيقاف الروليت عنده ، يرفع إحدى يديه ، بالقرب من عجلة (الروليت) ، بطريقة طبيعية ، غير ملفتة للنظر ، وفى أثناء ذلك يعبث بالزر الذهبى ، المثبت فى قميصه ، تاركًا الموجِّه الإلكترونى الخفى يقوم بعمله ، حيث يؤثر على حركة السهم ، ويوقف عجلة (الروليت) عند الرقم المطلوب تمامًا .. يالها من خدعة ، ووسيلة بارعة للغش !

أعاد ممدوح الأزرار إلى العلبة ، ثم أعادها إلى دولاب (فورجيه) ، بعد أن أخذ الإطار الإلكترونى ليضعه فى جيبه ، وقام بترتيب المكان على النحو الذى كان عليه ، بعد أن استردّ سكينه ، وقام بسحب الرجل الفاقد الوعى مرة أخرى إلى خارج الحجرة ، حيث أجلسه فوق أحد المقاعد ، ووضع قبعته فوق وجهه ، ليخفى بها عينيه الناعستين ، ثم همس له بسخرية :

ــ عندما تفيق أرجو أن تشكرنى ، فسوف تجد أننى قد وفرت لك ساعة كاملة من النوم العميق وتوجّه إلى المصعد ، عائدًا إلى الدور الأرضى للفندق ، فلقد أدى دوره هذه الليلة ..

وأعدّ المسرح للقتال .

* * *

٥ ــ تحدى الشيطان ..

توجّه (ممدوح) إلى صالة القمار الخاصة بالفندق ، فى اليوم التالى ، وهناك توجّه إلى مائدة (الروليت) مباشرة ، ووجد أن (فورجيه) قد سبقه إليها منذ ربع الساعة ، ووجده مكفهر الوجه ، بعد أن خسر ثلاثة أدوار متتالية ، ورآه ممدوح يتطلّع إلى أزرار قميصه الذهبية فى دهشة وغيظ ، فى حين بدا المشرف على مائدة (الروليت) سعيدًا بخسارة (فورجيه) ، إذ قال له بتشف :

ــ يبدو أن الحظ يعاكسك اليوم يا مسيو (فورجيه) .

شارك (ممدوح) فى اللعب ، وتناول عدة فيشات ، وقام بوضعها على أحد الأرقام ، ثم قام بتحريك مرفقيه ، وهو يضغط على أزرار قميصه الفضية ، بعد أن ثبت فيها الموجّه الإلكترونى ..

وتوالت أرباح (ممدوح) ، وسط دهشة وصيحات اللاعبين ، والمراقبين لمائدة اللعب ، فى حين كان (فورجيه)



وقد احتقن وجهه الشاحب من شدة الانفعال ، وهو يرى (ممدوح) يقوم بتلك الحركة ، التى اعتاد القيام بها ، وملامسة الأزرار الموضوعة فى أسورة قميصه ..

أشدهم دهشة وارتيابًا ، وقد احتقن وجهه الشاحب من شدة الانفعال ، وهو يرى (ممدوح) يقوم بتلك الحركة ، التى اعتاد القيام بها ، وملامسة الأزرار الموضوعة فى أسورة قميصه ، وهو يبتسم له ابتسامة ذات مغزى .. وتعالت الصيحات ، فقد ربح (ممدوح) مرة أخرى ، وأسرع المقامرون بوضع فيشاتهم ، على الرقم الذى اختاره (ممدوح) ، تفاؤلًا بحظه ، ومكاسبه المتوالية ، فى حين قال (ممدوح) لـ (فورجيه) ساخرًا :

ـ ألا تريد أن تجرب حظك ، وتلعب على الرقم الذى اخترته يامسيو (فورجيه) ؟.. اطمئن لن أفعل مثلك ، وأتمسّك بأن أتفرد بالمكاسب وحدى ، فيسعدنى أن أمنح الفرصة للآخرين .

وازداد احتقان وجه (فورجيه) ، من شدة الغضب ، وهو ينظر إلى (ممدوح) نظرة تعبِّر عن غضبه ، بعد أن ألقى فيشاته على رقم مخالف ، لذلك الذى اختاره الأخير ، فى حين قال (ممدوح) ، وهو مستمر فى لهجته الساخرة .

ـ كما تحب .. لقد نصحتك فلا تلومنّ إلا نفسك .

وقام بملامسة أزرار قميصه الفضية ، ضاغطًا على الموجِّه

الإلكترونى ، فتوقف السهم ، مشيرًا إلى الرقم الذى اختاره ، وتعالت الصيحات مهلّلة ، فقد ربح (ممدوح) ، وربح معه الكثيرون ، فى حين فارق (فورجيه) مائدة اللعب ، وخطواته تنبئ عن انفعاله ، وفى أثره حارسه الخاص ..

وكان (مايك) قد حضر ، ليراقب هذا التحدى المثير ، وعلى وجهه علامات الدهشة والذهول ، وغمز له (ممدوح) بطرف عينيه ، ثم تأهب لمفارقة المائدة فى إثر (فورجيه) ، وحاول البعض أن يثنيه عن مغادرة مائدة اللعب ، قائلًا :

ــ مسيو .. ألا تستمر ؟

وابتسم (ممدوح) قائلًا بلباقة :

ــ آسف .. إننى مرتبط بموعد هام .

قالت إحداهن :

ــ ياللخسارة !.. الحظ يحالفك اليوم ، وكنا نأمل فى الإفادة من حظك هذا .

ممدوح :

ــ فليحاول كل منكم منذ الآن ، الاعتماد على حظه فقط .

وقال له أحدهم :

ــ ألن تعود مرة أخرى ؟

ممدوح :

ــ لا اعتقد ، فهذه هى المرة الأولى ، التى أمارس فيها هذه اللعبة ، وأعتقد أنها ستكون الأخيرة .

حدّقت فيه العيون بدهشة وعدم تصديق ، فى حين قال المشرف على المائدة :

ــ مسيو .. ألا تتناول فيشاتك ؟

وقال له (ممدوح) ، وهو ينصرف :

ــ كلا .. إننى أتنازل عنها .

تعالت صيحات الدهشة ، والاستغراب ، وقال المشرف على المائدة :

ــ لابد أن هذا الرجل مجنون .. هذه الفيشات تساوى ثروة .

وقال (مايك) ، وهو ينظر إلى (ممدوح) فى غيظ :

ــ إننى أوافقك على ذلك ، فالذى يتخلى عن أرباحه بهذه السهولة ، لابد وأن يكون مجنونًا بالفعل .

وكان (ممدوح) قد انتزع الموجّه الإلكترونى من زر قميصه ، وضغط عليه بين أصبعيه ، ليكسره نصفين ، ثم

احتفظ به فى يده ، وهو يتجه نحو (فورجيه) ، الذى كان يتناول كأسًا من الشراب ، على البار ، وإلى جواره حارسه ، واقترب منه (ممدوح) ، قائلًا بلهجته الساخرة :

ـــ هل تسمح لى أن أدفع لك ثمن الشراب ، يا مسيو (فورجيه)؟

تقدّم الحارس الضخم ، يمسك بتلابيب (ممدوح) ، وعلى وجهه علامات الشراسة ، قائلًا بلهجة وحشية :

ـــ ابتعد عن هنا أيها الصعلوك ، وإلا حطمت رأسك .

قال (ممدوح) متصنعًا الاستسلام :

ـــ حسنًا .. حسنًا .. كنت أريد فقط أن أعبر عن امتنانى لمسيو (فورجيه) ، فأنا أدين له بالفضل فى كل أرباحى .

أمر (فورجيه) حارسه أن يترك (ممدوح) ، قائلًا وهو يتفحّصه من قمة رأسه ، إلى أخمص قدميه :

ـــ كيف حصلت عل الموجِّه الإلكترونى؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ لى وسائلى الخاصة يا مسيو (فورجيه) .. وعلى كل حال ، لقد جئت لأرد إليك لعبتك العجيبة ، وإن كنت أعتقد أنك لن تستفيد منها بعد اليوم ، فقد ضغطت عليها بقوة ، دون

قصد ، وأنا أنزعها من زر قميصى فتحطّمت .

ووضعها أمامه على البار ، ثم تركه وانصرف ..

وحاول الحارس أن يلحق به ، ولكن (فورجيه) استوقفه قائلًا :

ـــ ليس هنا .. سأرسل إليه من يمزقه تمزيقًا ، فقد حان الوقت لكى أطلعه أنا أيضًا على وسائلى الخاصة .

ثم نظر إلى حارسه قائلًا :

ـــ استدع (لورا) فورًا .. هذا هو الطراز الذى يناسبه .

* * *

استقبل (ممدوح) (مايك) فى غرفته بالفندق ، وقال له الأخير :

ـــ ماهذا الذى فعلته فى صالة القمار؟.. لقد جعلت (فورجيه) يستشيط غضبًا .

ضحك (ممدوح) قائلًا :

ـــ أردت أن أداعب الرجل قليلًا .

(مايك) :

ـــ لا تستخف بالأمر على هذا النحو ، إن مداعبة رجل مثل (فورجيه) لها عواقب وخيمة .

قال (ممدوح) ، وهو يتناول منشفته استعدادًا لدخول الحمام :

ــ يمكنك أن تعتبر هذا هو بداية العمل ، فلقد أردت أن أثير اهتمامه وتحفّزه ، حتى يتاح لى العمل معه فيما بعد .

(مايك) :

ــ لا أعرف ماهى خطتك بالطبع ، ولكنى أعرف أن (فورجيه) لن يغفر لك ما فعلته معه ، أمام مائدة (الروليت) .

(ممدوح) :

ــ هل لديك أخبار جديدة ؟

(مايك) :

ــ نعم .. إنه سيغادر الفندق غدًا ، واعتقد أنه سيعود للإقامة فى قصره ، الذى يقع فى إحدى ضواحى (باريس) .. هل أنتظرك فى قاعة الفندق ؟

(ممدوح) :

ــ كلا .. انتظر حتى أنتهى من حمامى ، ثم نهبط معًا .. يمكنك أن تشاهد (التليفزيون) ، حتى أفرغ من الحمام .

ودخل ليأخذ حمامه ، فى حين تناول (مايك) تفاحة كبيرة ، من سلة الفواكه الموضوعة على المائدة ، التى تتوسّط

الحجرة ، ثم أدار جهاز (التليفزيون) واسترخى فوق المقعد الوثير المواجه له ، وهو يتناول التفاحة ، ولكنه لم يكد يستقرّ فوق المقعد ، حتى سمع طرقات على باب الغرفة ، فنهض ليفتح الباب ، ووجد أمامه امرأة حسناء ، ذات ابتسامة خلّابة ، وإن كانت تتمتع ببنيان قوى ، يشبه بنيان الرجال ، وقد ارتدت ثياب عاملات الفندق ، فسألها قائلًا :

ــ أية خدمة ؟

أجابته المرأة ، وهى محتفظة بابتسامتها :

ــ جئت لتغيير ملاءات السرير .

سألها فى دهشة :

ــ فى هذا الوقت ؟!

وردت عليه قائلة :

ــ إنها تعليمات الفندق .

وهز كتفيه بلا مبالاة ، قائلًا :

ــ حسنًا .. تفضّلى .

دخلت المرأة إلى الحجرة ، وهى تحمل عددًا من ملاءات السرير النظيفة ، وبدأت فى القيام بعملها ، فى حين توجّه (مايك) إلى سلة الفواكه ، لتناول تفاحة أخرى ، وفى هذه

اللحظة قامت المرأة برفع صوت (التليفزيون) ، ثم تقدَمت نحو (مايك) ، وعلى وجهها علامات التحفز ، وفى اللحظة التى استدار فيها (مايك) متسائلًا ، عن سبب رفع صوت (التليفزيون) ، كانت المرأة قد وجهت إليه ركلة قوية فى وجهه ، ثم هجمت عليه ، لتطبق على ذراعيه فى قوة ، وهى تحمله فى حركة خاطفة ، ملقية به على الأرض ، وبدا من الواضح أنها رياضية ، وتجيد الأنواع المختلفة من المصارعة ، وقبل أن يسترد (مايك) وعيه ، ليدرك ماحدث له ، كانت قد انقضت عليه فى وحشية ، لتطبق على عنقه بيدين قويتين ، وتديره فى الاتجاه المعاكس ، بقوة غير عادية ، محطمة هذا العنق ، ثم نفضت يديها ، وتركته مغادرة الغرفة ، بعد أن أتمت عملها ..

وبعد قليل كان (ممدوح) قد غادر الحمام ، مرتديًا روبًا قصيرًا ، وهو يفرك المنشفة فى شعره ، ويقول :

— لماذا ترفع صوت (التليفزيون) هكذا ؟ أأنت أصم ؟

ولكنه فوجئ بالفوضى التى حلّت بالغرفة ، وبالرجل الصريع .

وفى أثناء ذلك كان (ميشيل فورجيه) واقفًا مع بعض

ضيوفه ، فى إحدى الحفلات ، التى اعتاد اقامتها لرجال الأعمال ، وعملائه من مستوردى الأسلحة ، عندما دلفت المرأة إلى القاعة ، وقد ارتدت ثوب السهرة ، وما أن لمحها (فورجيه) حتى استأذن من مدعويه ، وتوجّه إليها ، ليصحبها إلى الداخل هامسًا :

— هل أتممت عملك ، فى الحجرة (٣٦) ؟

أجابته بثقة :

— نعم .. لقد حطمت لك عنق هذا الرجل .

وابتسم (فورجيه) ، وهو يخرج من جيبه علبة من المخمل الأسود ليفتحها أمامها ، حيث ظهر بداخلها عقد من الماس قائلًا :

— إذن فأنت تستحقين أن يلتف هذا العقد الماسّى النفيس حول عنقك يا عزيزتى (لورا) ..

وابتسمت (لورا) فى سعادة ، وهى تتحسس عقدها ، الذى ربحته بعرقها ..

وبدماء الآخرين .

* * *

٦ ــ الصَّياد ..

راقب (ممدوح) (فورجيه) ، وهو يقوم بالصيد ، برفقة أصدقائه ، فى إحدى الغابات الفرنسية ، حيث قام (فورجيه) بإطلاق الرصاص على أحد طيور البط البرية ، فأصابه على الفور ، وأسقطه ، وفى الحال انطلق كلب الصيد الذى يرافقه ، إلى الموقع الذى سقطت فيه البطة ، ليعود حاملًا إياها بين أسنانه ، ويقدِّمها إلى سيِّدة ، ولمح تلك المرأة القوية البنيان ، تبادل فورجيه الحديث ، وهى تنزع عنق البطة عن جسدها ، بقبضتيها القويتين ، دون أدنى رحمة أو تأثر ، وبدون أى مجهود ..

كان قد توافر عدد لا بأس به من الطيور ، التى اصطادها (فورجيه) ، والتى حملها أحد أتباعه فى سلة كبيرة ، ولكنه واصل الصيد ، وقد بدا مستمتعًا به ، وبتفوقه على أقرانه ، فى جمع أكبر عدد من الطيور ..

وأطلق (فورجيه) رصاصة أخرى ، على أحد طيور البط

البرى فأسقطه فوق الحشائش ، وانطلق كلبه سريعًا على الأثر ، ليعود بالبطة ، ويلقيها تحت قدميه ، ولكن ما أن هم (فورجيه) بالتقاطها ، حتى انطلقت رصاصة أخرى ، لتفصل بين أصابعه وجسد البطة ، وتقتلع بعض الأغصان والحشائش من مكانها ، فأبعد (فورجيه) يده فى غضب ، قائلًا :

ــ من الذى فعل هذا ؟

وسرعان ما رأى (ممدوح) ، وهو يقترب منه ، حاملًا بندقيته فوق كتفه ، وعلى وجهه تلك الابتسامة الساخرة ، قائلًا :

ــ صباح الخير يا مسيو (فورجيه) .. معذرة ، أردت أن أمزح معك قليلًا .

تطلَّع إليه (فورجيه) فى دهشة ، قائلًا :

ــ أنت ؟!

وقال (ممدوح) متهكِّمًا :

ــ إنك لم تكن تتوقع أن ترانى حيًا .. أليس كذلك ؟ ولكن مع الأسف ، فإن الشخص الذى أرسلته ، ليزيحنى عن طريقك . أخطأ الرجل المنشود .

تحَوَّل (فورجيه) إلى رفيقته ، وهو يرمقها بنظرات نارية ،

فى حين ارتعدت المرأة القوية لأول مرة ، قائلة :

— إنك لم تحدد شكله .. لقد أخبرتنى أنه ينزل بالحجرة (٣٦) فقط .

هز (ممدوح) رأسه ، قائلًا بسخرية :

— نعم .. الخطأ خطؤه بالتأكيد ، ولكننى لم أتصور أن الذى قام بهذا العمل امرأة قط .

تمالك (فورجيه) نفسه ، قائلًا :

— (لورا) خبيرة بتحطيم الأعناق .

قال (ممدوح) مبتسمًا ، وهو ينظر إليها :

— هذا واضح تمامًا ، فقد رأيت ذلك بنفسى .

رمقه (فورجيه) بنظرة صارمة ، قائلًا :

— ماذا تريد منى يا مسيو (ممدوح)؟

(ممدوح) :

— لو سألتنى هذا السؤال منذ البداية ، لما اضطررنا لإثارة كل هذه المشكلات بيننا ، ولربما أصبحنا أصدقاء ، فأنا أسعى للتعاقد معك على بعض الأسلحة ، التى تنتجها مصانعك .

قال (فورجيه) باستخفاف :

— تتعاقد معى؟! إننى لا أدير محلًا لتجارة الأسلحة ..

إننى أمتلك مصانع متعدِّدة ، ومؤسسة ضخمة ، وأتعاقد غالبًا مع الحكومات والدول .

قال (ممدوح) :

— ومع السماسرة أيضا ، وفى تجارة السلاح الخفية .

حدجه (فورجيه) بنظرة فاحصة ، ثم قال :

— وما الجهة التى تمثلها ، والتى أوفدتك للتعاقد معى؟

(ممدوح) :

— هذا لا يعنيك .. لقد جئت ومعى قائمة ببعض أنواع الأسلحة التى أريدها ، وسوف أدبر طريقة تهريبها إلى الخارج بمعرفتى

(فورجيه) :

— وما المبلغ الذى ستدفعه ، مقابل هذه الأسلحة؟

(ممدوح) :

— نصف مليون جنيه .

أطلق فورجيه ضحكة عالية مجلجلة ، مردِّدًا :

— نصف مليون جنيه؟! هذا المبلغ لا يوازى الإكراميات ، التى أدفعها لبعض رجالى وعملائى ، فى مقابل عملية توريد أسلحة واحدة .

(ممدوح) :

ــ يمكننا أن نتفاوض على مبلغ أكبر .

ولكن فورجيه رد عليه بلهجة حاسمة ، قائلًا :

ــ لا يا مسيو (ممدوح) لن يكون بيننا أى تفاوض ، فأنا لا أثق بك ، ولا أظن أن هدفك الحقيقى هو التفاوض معى على شراء بعض الأسلحة .. لقد جئت من أجل هدف آخر ، ولا يهمنى كثيرًا أن أعرفه ، فسوف أتخلّص منك فى الحال .

(ممدوح) :

ــ نسيت أن أذكر لك ، إننى قبل أن أحضر إلى هذه الغابة ، أخذت تصريحًا مسبقًا بالصيد ، وطلبت من الحراس المسئولين عن إدارة هذه المنطقة ، البحث عنى ، إذا ما تأخرت فى العودة لأكثر من ساعتين ، حيث أخبرتهم أننى مبتدئ وليست لدى دراية واسعة بالصيد ، والتنقل فى مثل هذه الغابات الشاسعة ، فإذا ما وجدونى وفى صدرى رصاصة ، فلا بد أن الشبهات ستحوم حولك ، وحول رفاقك ، مع ماسيثيره هذا من سمعة سيئة ، لرجل له مكانته مثلك .

ضحك (فورجيه) قائلًا :

ــ ومن قال إننى سأقتلك برصاصة ؟

والتفت إلى رفيقته قائلًا :

ــ (لورا) .. أمامك الآن فرصة لتصحيح الخطأ .

وتلقفت المرأة هذه العبارة بشيء من الامتنان ، فقد ظلت طوال الوقت تنظر إلى (فورجيه) بقلق ، وكأنها تتوقع منه العقاب لعدم الإجهاز على (ممدوح) ، أما الآن ، وقد سمح لها بقتله ، فقد بدا ذلك بمثابة العفو عنها ..

وتقدّمت (لورا) فى مواجهة (ممدوح) ، وقد تصلّبت عضلات وجهها وذراعيها ، وكأنها نمرة متوحشة ، تتأهب للانقضاض على الفريسة ، فى حين قال (فورجيه) بلهجة ساخرة .

ــ قد تكون الرصاصة مثار شكوك ، أما العنق المحطّم ، فله أكثر من سبب ، من بينها مثلا أن تكون قد تعثرت فى خطواتك ، فسقطت فوق إحدى الصخور الصلبة ، مما تسبّب فى تحطم عنقك ، وسأتركك فوق إحدى صخور الغابة ، بعد أن تنتهى (لورا) من الإجهاز عليك ..

وحاول (ممدوح) أن يبادر بمهاجمة المرأة ، فانقض عليها ، محاولًا الإخلال بتوازنها ، ولكنها تفادت حركته ببراعة ، ثم أمسكت رسغه ، لتلويه بقوة ، فى حركة مباغتة ، مطيحة به



ثم وجَّهت ضربة قوية بحدى كفيها إلى عنقه ، جعلته يصرخ من شدة الألم ، ثم لم تلبث أن دفعته بقوة إلى الوراء ..

أرضًا ، ووقف (فورجيه) وأعوانه يراقبون مايحدث ، وقد بدا من نظراتهم أنهم واثقون من أن النتيجة ستكون لصالح (لورا) ..

وحاول ممدوح أن ينهض ، ولكنها فاجأته بركلة قوية فى وجهه ، أطاحت به إلى الوراء ، وهمّ بالنهوض مرة أخرى ، ولكنها وجّهت إليه ركلة ثانية ، تفاداها هذه المرة منقضًا على خصرها ، فى حركة سريعة ، ملقيا بها أرضًا ، وبدت المرأة متمتعة بقوة جسمانية غير عادية ، إذ سرعان ماتغلّبت على الموقف ، حيث أدخلت ذراعيها بين ذراعى (ممدوح) المحيطين بخصرها ، لتبعدهما عنها بقوة ، ثم وجّهت ضربة قوية بحدى كفيها إلى عنقه ، جعلته يصرخ من شدة الألم ، ثم لم تلبث أن دفعته بقوة إلى الوراء ، وهى تضع قدمها فى بطنه ، وهجمت عليه مرة أخرى ، محاولة الإمساك برسغه ، للإطاحة به أرضًا ، ولكنه فاجأها بالقبض على رسغها ، ثم بتوجيه ضربة قوية بحد حذائه إلى قدميها ، ليلقى بها على الأرض مرة أخرى ..

ونهضت (لورا) سريعًا ، وفى عينيها نظرات نمرة ثائرة ، فقد وجدت نفسها فى مواجهة خصم عنيد ، وأخذ كل منهما

يدور حول الآخر ، بحثًا عن فرصة للانقضاض على غريمه ، وفجأة رآها (ممدوح) تخرج من سترتها حبلًا مفتولًا ، ينتهى بأنشوطة كبيرة ، وقبل أن يتأهّب لمواجهة هذا الموقف الجديد ، كانت المرأة قد ألقت الأنشوطة ببراعة لتحيط بها عنقه ، وحاول أن يمدّ أصابعه لإبعاد الأنشوطة عن عنقه ، ولكنها شدّدت الضغط حول رقبته ، وحاولت أن تسحبه نحوها بقوة ، إلا أنه قفز عاليًا بحركة سريعة ، ثم دار فى الهواء حول نفسه ، مؤديًا حركة أكروباتية بارعة ، ليستقرّ على الأرض ، واقفًا على قدميه ، بعد أن أفلت الحبل من يد المرأة ، التى فوجئت بتصرفه السريع هذا .

وحلّ (ممدوح) الأنشوطة من حول رقبته على الفور ، فى اللحظة التى عادت (لورا) تهاجمه فيها من جديد ، وتفادى انقضاضة المرأة عليه ، وهو ينتحى جانبًا ، ثم قبض على عنقها من الخلف ، فى قوة بأصابعه ، ليدفع رأسها إلى جذع شجرة ضخم دفعة عنيفة ، وتلقتّ المرأة الضربة فى جبهتها ، لتهوى على الأثر فوق الحشائش فاقدة الوعى ، ونهض (ممدوح) يعدّل ثيابه ، ثم مسح عرقه قائلًا لـ (فورجيه) .

ـــ أعتقد أن نمرتك المتوحشة قد أخفقت هذه المرة ، فى

أداء عملها ، وتحطيم عنقى .

قال (فورجيه) ، وهو ينظر إلى المرأة الممددة على الأرض :

ـــ هذا هو الفشل الثانى بالنسبة لها ، أما بالنسبة لى فإنه الفشل الأخير ، لأننى لا أسامح من يخطئون فى أداء عملهم ، لأكثر من مرتين .

وصوَّب بندقيته فى اتجاه المرأة ، مطلقًا عليها رصاصتين ، قتلتاها على الفور ، ونظر إليه (ممدوح) فى ذهول ، وهو يرتكب جريمته هذه ببساطة وهدوء ، دون أدنى اعتبار لأية مشاعر إنسانية ، ثم صرخ فيه .

ـــ ما هذا الذى فعلته ؟ إنك تقتل البشر ، كما لو كنت تصطاد إحدى طيورك البرية !! كيف تقتل امرأة فاقدة للوعى ، وتعمل لحسابك ، على هذا النحو ؟

ولكن اثنين من رجاله الأشداء أحاطا بـ (ممدوح) بسرعة ليشلا حركته ، قبل أن تمتد يداه إلى (فورجيه) ، وقال أحدهم لزعيمه :

ـــ هل نخلِّصك منه ؟

(فورجيه) :

ـــ كلا .. أريده حيًّا ، فقد بدأ هذا الرجل يثير اهتمامى

وتلقىَ (ممدوح) ضربة قوية على رأسه ، فقد على أثرها الوعى ، وكان آخر ما رآه قبل أن يروح فى غيبوبته ، هو تلك النظرة التى تطلّ من عينى (فورجيه) ..
نظرة الشيطان ..

* * *



٧ ـ على حافة الموت ..

استردّ (ممدوح) وعيه ليجد نفسه واقفًا على قدميه ، داخل صندوق من الفولاذ المحكم الغلق ، من مختلف جوانبه ، عدا فتحة مربعّة ، تتيح لرأسه أن تطلّ منها ، وأن تتحرك يمينًا ويسارًا ، وكان المكان مظلمًا إلى حد ما ، يخيِّم عليه هدوء شديد ، وبدا أشبه بقبو فسيح ، ورأى (ممدوح) إلى جواره من الجانبين عدة صناديق أخرى ، متراصة ومتلاصقة ، من أنواع مختلفة من الصلب والأسمنت ، وأخرى من أحجار جرانيتية ، وأحسّ أنه يبدو داخل هذا الصندوق الفولاذى ، وما يجاوره من صناديق أخرى ، كما لو كان محبوسًا داخل أحد التوابيت الفرعونية القديمة ، وأن المكان كله يشبه مقبرة .

وفجأة رأى (ممدوح) شيئًا يتحرك ، فى نهاية هذا القبو الفسيح ، أشبه بمصعد يهبط من السقف ، ليستقرّ على الأرض ، لكنه لم يكن مجرد مصعد عادى ، وإنما قاعدة معدنية متحرِّكة مضاءة ، بلا جدران ، تضمّ أربعة أشخاص ، عرف

(ممدوح) فى أحدهم (ميشيل فورجيه) ، الذى كان جالسًا فوق مقعد وثير ، وقد وقف عن يمينه أحد حراسه الأشرار ، فى حين وقف على يساره ، وعلى بعد عدة خطوات منه ، شخصان آخران ، يرتديان الثياب العسكرية وشيئًا أشبه بمدفع (الهاون) ، وابتسم (فورجيه) قائلًا بصوت جهورى :

ــ أهلًا بك فى إحدى قاعات التجارب يا مسيو (ممدوح) . إننا نجرى بعض التجارب على أسلحتنا ، فى هذا المكان ، الذى أعدّ مع غيره خصيصًا من أجل ذلك ، ولقد فكّرت فى أن أعرض عليك بعض الأنواع ، من الأسلحة التى أنتجتها مصانعى حديثًا ، وأعتقد أنك ستعجب بها وبدقتها . أنت تعرف بالطبع أنه من أسس الخطط الدفاعية ، فى المعارك الحربية ، بناء الدشم والملاجئ ، سواء بالنسبة للأفراد أو المعدات العسكرية ، أو الطائرات ، فتأثير القاذفات ، أو مدافع (الهاون) العادية ، يكون محدوًدا بالنسبة لتلك الدشم أو الملاجئ ، التى تُبنى عادة من طبقات متعدّدة من الأسمنت ، والصخور الجرانيتية ، خاصة تلك التى تُبنى تحت الأرض ، ويصعب تدميرها ، لذا ابتكر العلماء العسكريون فى مصانعى ، نوعًا من القذائف ، لها قدرة خارقة على تدمير ذلك

النوع من الدشم والملاجئ الأسمنتية ، حتى لو كانت من الفولاذ القوى ، وهى قادرة على تدمير أية دشمة أو ملجأ ، بقذيفة واحدة ، ودون الحاجة لإطلاق عدة قذائف متتالية على الموقع ، أو الهدف المراد تدميره ، وبدقة بالغة ، كما أن ذلك النوع من القذائف له خاصية عجيبة ، وهى أنه يخترق الأرض أوّلًا ، قبل أن يقوم بعملية التدمير ، بل إنه يغوص فى الأرض عدة أمتار ، ثم يبدأ فى الصعود رأسيًّا مرة أخرى ، وينفجر ليطيح بالدشمة أو الملجأ من قاعدته ، ويقتلعه أقتلاعًا ، وفقًا لتوجيه إلكترونى خاص .. ولك أن تتصور فى هذه الحالة ، ما الذى يمكن أن تفعله هذه القذيفة العجيبة ، إنها تعنى تدميرًا كاملًا لجميع المعدات العسكرية ، وملاجئ الطائرات قبل إقلاعها من على الأرض ، دون أدنى حماية ، ومهما كانت التحصينات .. إنها السلاح الذى سيحطّم جميع الوسائل الدفاعية ، التى تلجأ إليها الجيوش المتقاتلة ، وهو أحدث أنواع الأسلحة ، التى أنتجتها مصانع (فورجيه)

قال (ممدوح) بهدوء :

حسنًا .. هل تنتظر منى أن أصفّق لك ؟

(فورجيه) :



وانطلقت قذيفة تصم الآذان ، لتدمِّر أحد الصناديق الأسمنتية ، إلى جوار (ممدوح) ، وتحوِّلها إلى تراب أسمنتى ، تناثر فى المكان ..

ـ كلا .. ليس قبل أن ترى تأثير هذه القذيفة عمليًا .

وأشار إلى الرجل ، الذى يرتدى الثياب العسكرية ، فأسرع بالجلوس على المقعد المعدنى ، المتصل بمدفع (الهاون) ، فى حين قام زميله بتعبئة المدفع بأربْعة قذائف ، ثم قام بالجلوس على مقعد ملاصق لمقعد زميله ، ليضبط الهدف على جهاز كمبيوتر صغير ، متصل بمدفع (الهاون) ، ووضع أربعة عازلات صوت واقية فوق آذانهم ، فى اللحظة التى أشار فيها (فورجيه) إلى الرجل الجالس أمام المدفع ..

وانطلقت قذيفة تصم الآذان ، لتدمِّر أحد الصناديق الأسمنتية ، إلى جوار ممدوح ، وتحوِّلها إلى تراب أسمنتى ، تناثر فى المكان ..

وتعجَّب (ممدوح) ، فقد كانت القذيفة من الدقة والإحكام ، بحيث لم تتعد آثارها التدميرية الصندوق فقط ، دون أن تتجاوزه إلى الصناديق الأخرى المجاورة ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى التوجيه الإلكترونى الدقيق ..

وقال (فورجيه) مبتسمًا فى خيلاء :

ـ والآن سترى تأثير القذيفة ، إذا ماحددْنا هدفًا أكبر حجمًا .

وعاد يُعطى الإشارة ، حيث قام الرجل الجالس أمام الكمبيوتر بتحريك عدة أزرار ، لتظهر بعض الأرقام على الشاشة أمامه ، ثم أعطى الأمر لزميله بإطلاق القذيفة ، وانطلقت القذيفة ورآها (ممدوح) تخترق باطن الأرض ، فى يسر وسهولة ، قبل أن تنفجر ، ثم رآها وهى تدمِّر ثلاثة صناديق ، من الصلب والأسمنت والحجر مرة واحدة ، وتحوِّلها إلى فتات وقطع متناثرة ، ونظر (ممدوح) إلى ذلك المشهد فى ذهول ، وكان قد أغمض عينيه فى لحظة الانفجار ، ثم عاد يفتحهما على آثاره المدمرة ، وضحك (فورجيه) ، وهو يرقب نظرة الذهول فى عينى (ممدوح) ، قائلًا :

ــ والآن ما رأيك ؟ ألا أستحق أن تصفق لى ؟

أجابه (ممدوح) بهدوء

ــ كنت أود ذلك ، ولكننى كما ترى .. وضعى فى ذلك الصندوق الفولاذى ، الذى سجنتنى فيه ، لا يسمح لى بذلك .

(فورجيه) :

ــ إذن لا تنس أن تصفق لى فى العالم الآخر ، فأنا أنوى أن أدمِّر ذلك الصندوق الآن ، وأنت بداخله .

ثم صمت قليلًا ، قبل أن يقول :

ــ إلا إذا أخبرتنى عمن تكون ، وعن الهدف من متابعتك لى .

(ممدوح) :

ــ لقد أخبرتك بذلك من قبل .

قال (فورجيه) بسخرية :

ــ إنك جئت من أجل التفاوض معى ، على شراء بعض الأسلحة ، أليس كذلك ؟..

إنك كاذب يا مسيو (ممدوح) ، فقد تعرّفك أحدهم ، وأخبرنى حقيقة شخصيتك .. إنك عميل لجهاز الأمن المصرى ، المعروف بالمكتب رقم (١٩) .. بل واحد من أشهر عملائه ، ممن يضطلعون عادة بالمهام الصعبة الجسيمة .

رد عليه (ممدوح) ببرود ، قائلًا :

ــ برافو .. مسيو (فورجيه) .. اعتقد أن الذى أخبرك بهذا ، هو واحد من أصدقائك الأُسترتانيين .

أكمل (فورجيه) قائلًا :

ــ وهذا هو ما جئت تسعى ورائى من أجله .. الصلة التى تربط بينى وبين الأُسترتانيين .. أو بمعنى أدق .. العثور على

دليل يثبت وجود صفقة عسكرية سرية ، بينى وبين الاسترتانيين .. أليس كذلك ؟ .. ولكنك لن تستطيع الوصول إلى هذا الدليل أبدًا يا مسيو (ممدوح) .. من الغباء أن تتصور ، أنت وحكومتك ، أن (فورجيه) ساذج إلى هذا الحد ، وأنه يمكن أن يلعب هذه اللعبة الخطرة مع الأسترتانيين ، تاركًا خلفه أدنى أثر ، أو دليل يمكن أن يدينه ، أو يطيح بمركزه أمام الحكومة الفرنسية والمجتمع الدولى .. إننى أعرف كيف أحمى ظهرى ، وأنفذ عملياتى ، فى ظل حماية كاملة .

ممدوح :

— ولماذا تعتقد أن كل ما أصبو إليه هو البحث عن دليل ، يدين علاقتك بالاسترتانيين ؟ .. لقد جئت لعقد اتفاق مماثل معك ، بشأن الأسلحة التى تهرِّبها إلى الاسترتانيين .

فورجيه :

— لا أفهم .. ماذا تعنى .

قال (ممدوح) ، محاولاً خداعه ، وكسب مزيد من الوقت ، إزاء هذا الموقف العصيب ، الذى وجد نفسه فيه .

— إننا نريد أن نتساوى مع الأسترتانيين ، وما دمت تهرِّب الأسلحة التى تنتجها مصانعك ، إلى إحدى دول منطقة

نزاع عسكرى ، فإننا إيضًا نبغى شراء هذا السلاح المهرب ، ونفس الوسائل التى تستخدمها مع الاسترتانيين ، ونفس الشروط .

ضحك (فورجيه) قائلاً :

— حيلة بارعة .. وبذلك يتسنى لكم الكشف عن هذه الوسائل ، وإقامة الدليل على تورّطى فى هذه العمليات السرية ، خاصة بعد كسب ودى .. ألم أقل لك إنكم أغبياء ، إذا ما تصوّرتمونى بهذه السذاجة ؟ .. على كل حال ، مالا تعرفه هو أننى لا أتعامل مع هذه الصفقات ، التى تتم بينى وبين الأسترتانيين ، شأن الصفقات الأخرى ، كعمليات تجارية وربح اقتصادى ، بل إننى أعمل بالفعل على تدعيم الجيش الأسترتانى ، وإمداده بما يلزمه من معدات عسكرية ، تتيح له التفوّق على جيشكم ، حيث إننى مرتبط عاطفيًا بـ (أسترتان) ، فالكثيرون لا يعرفون أننى من أصل أسترتانى ، وأن لى جذورًا داخل هذه الدولة ، وصلات وطيدة بالمسئولين فيها ، تجعلنى لا أملك سوى الانحياز لها ..

والآن وداعًا يا مسيو (ممدوح) .. سيتعيّن عليك أن تدفع ثمن تطفّلك ، وممارستك هذه المهنة الخطرة .

وآشار للرجل الجالس أمام مدفع (الهاون) ، لكى يستعد لتدمير الصندوق الفولاذى ، الذى سُجِنَ فيه (ممدوح) ، ثم هم بوضع عازل الصوت على أذنيه ، ولكن (ممدوح) صرخ فيه :

— انتظر .. إنك ترتكب خطأً كبيرًا يا مسيو (فورجيه) ، فقبل أن أحضر إلى (باريس) ، تسلّمت ميكروفيلم من المخابرات المصرية ، عليه صور قاطعة الدلالة ، على وجود أسلحة حديثة من مصانع (فورجيه) ، فى حوزة الجيش الأسترتانى ، وبعضها مدوّن عليه نوع السلاح ، وتاريخ الإنتاج ، فوق صناديق الشحن ، وبمجرد وصولى إلى (باريس) ، سلّمت هذا الفيلم إلى الملحق العسكرى المصرى ، لسفارتنا فى (فرنسا) ، ولديه تعليمات محدودة ، بأنه فى حالة تعرضى لأى مكروه ، أو عدم اتصالى به فى السفارة هاتفيًّا لمدة يومين ، فإنه يتعين عليه إقامة مؤتمر صحفى ، وتسليم صور الميكروفيلم لوسائل الإعلام الدولية .

وابتسم (فورجيه) فى استخفاف ، قائلًا :

— هذا لن يثبت شيئًا يا مسيو (ممدوح) ، فقد كنت أتعامل رسميًا مع الحكومة الأسترتانية ، وبموافقة الجهات

الرسمية الفرنسية ، قبل الحظر ، وبالطبع ما زالت هناك شحنات من الأسلحة فى حوزتهم ، تحمل علامة مصانع (فورجيه) ، وبعضها ما يزال فى صناديق الشحن ، كما أنك فى سوق السلاح لا تستطيع أن تتحكم فى قيام إحدى الدول ، التى تصدِّر إليها أسلحتك ، بإعادة تصديرها مرة أخرى إلى دول ثانية . ذلك يحدث لأسباب سياسية ، وأحيانًا لأسباب اقتصادية أيضًا .. وهكذا ترى أن هذا الميكروفيلم ، الذى تتحدّث عنه ، بفرض وجوده ، لا يعنينى فى شىء .

ورفع يده عاليًا ، ليعطى إشارة الضرب على الهدف ، ولكن (ممدوح) عاد يقول له ، وقد تصبّب وجهه عرقًا ، وعيناه تراقبان مدفع (الهاون) المصوّب إليه :

— لكن بعض الصور تثبت أن تاريخ الشحن لاحق ، للحظر المفروض على المنطقة ، كما أنه بفرض أن هذا الميكروفيلم لا يحمل دليل إثبات قوى ضدك ، ألا ترى أن الحذر يقتضى الحيلولة دون ظهوره ، أمام وسائل الإعلام والجهات الرسمية ؟. إن ذلك سيلفت الأنظار إليك ، ويحيطك بالشكوك على الأقل ، مما سيقيد حركتك ، كما قد يتبع ظهور هذه الصور إجراء بعض التحقيقات معك ، وبعض التحريات

فى الدول التى تم شحن أسلحتك إليها مؤخرًا . ستصبح تحت الأنظار يا مسيو (فورجيه) ، وستصبح مؤسستك موضع الشكوك ، وأنا أستطيع أن أخلصك من هذا كله ، وأقدّم لك هذا الميكروفيلم ، بكل ما يحويه من متاعب ، لو تراجعت عن فكرة تدميرى .

ظلّت يد (فورجيه) معلقة فى الهواء لحظة ، قبل أن يفرد راحته ، إشارة على التوقف عن إطلاق قذيفة المدفع ، ويبتسم قائلًا ، وهو ينهض من فوق مقعده :

ــ لقد أقنعتنى يا مسيو (ممدوح) ، ولكن لبعض الوقت فقط ، حتى يقوم رجالى بالتحرى عن حقيقة هذا الميكروفيلم ، وإن كنت قد تراجعت عن فكرة تدميرك ، فهذا أمر مؤقّت ، ولتكن واثقًا أنه إذا كان هذا الميكروفيلم موجودًا ، فسوف أحصل عليه ، ولدى وسائل متعدّدة لذلك ، بعدها سيمكننى تصفية حساباتى معك .

ولوّح له قائلًا :

ــ وداعًا يا مسيو (ممدوح) .. سنتقابل ثانية ، وستكون فى ضيافتى على الرحب والسعة ، حتى نعود فنلتقى .

راقب (ممدوح) القاعدة المعدنية ، التى يقف عليها

(فورجيه) وأعوانه ، وهى تتحرّك صاعدة إلى أعلى ، وهو يتنفس الصعداء ..

لقد نجا من التحول إلى أشلاء مبعثرة بأعجوبة ، فقد أفلحت خدعته بوجود (الميكروفيلم) لدى السفارة المصرية ، فى إثارة قلق (فورجيه) ، ولكن كما قال (فورجيه) ، فإن ذلك سيكون لبعض الوقت فقط ، إذ إنه مازال واقفًا على الحافة .. حافة الموت .

* * *



٨ ــ حيلة الشيطان ..

اقتاد أعوان (فورجيه) (ممدوح) إلى الطابق العلوى ، من المبنى الذى سُجِنَ فيه ، داخل الصندوق الفولاذى ، حيث ادخلوه إلى غرفة واسعة ، مؤثّثة على أحدث طراز ، تتوافر بها كافة إمكانات المعيشة ، وعلى الرغم من خطورة الموقف المحيط بـ (ممدوح) ، إلا أنه لم يفكّر ، فى اللحظة التى دخل فيها إلى الغرفة ، سوى فى شىء واحد ، وهو النوم ، فقد مرّت عليه أربع وعشرون ساعة كاملة دون نوم ؛ لذا فما أن أغلق باب الغرفة خلفه ، حتى ألقى بنفسه فوق الفراش ، مستسلمًا لنوم عميق ، امتد عدة ساعات متواصلة ، وعندما استيقظ ، كان قد استرد كثيرًا من نشاطه وحيويته ، فنهض سريعًا ، ليفحص أبواب ونوافذ الغرفة ، وسرعان ما تبين له أن الغرفة قد أُحكم إغلاق أبوابها ، وأنها تخلو تمامًا من النوافذ ، وتعتمد فقط على جهاز تكييف الهواء ، وأدرك أنه انتقل من سجنه الفولاذى إلى سجن آخر ، أكثر رحابه ، وأكثر فخامة ..

وفجأة ، وبينما هو منشغل فى فحص حدران الغرفة ، فُتح الباب ليدخل منه ثلاثة أشخاص مسلحون ، إثنان مزودان بمدافع آلية ، وثالث يضع مسدسًا كبيرًا ، مزودًا بكاتم للصوت ، فى جراب يلتف حول خصره ، ووقف الشخصان المسلحان بالمدافع الرشاشة إلى جوار باب الغرفة ، فى حين تقدم ثالثهما بصينية تحتوى على بعض أنواع من الأطعمة المختلفة ، وزجاجة ماء ، ليضعها على المائدة المواجهة لمقعد يجاور الفراش ، ثم التفت إلى (ممدوح) قائلًا :

ــ تعال لتتناول طعامك ، بدلًا من أن تشغل نفسك بفحص الجدران ، فأنت لن تستطيع اختراقها .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا وهو يتقدّم نحو المائدة :

ــ معك حق .. الجدران شديدة الصلابة ، وأنا جائع للغاية .

وجلس أمام الصينية الموضوعة أمامه ، يتناول الطعام بنهم ، فى حين استعد الرجال الثلاثة للانصراف من الغرفة ، وإغلاق بابها خلفهم ، وقبل أن يغلق الرجل ذو المسدس باب الغرفة ، قال له (ممدوح) ، وهو يتناول قطعة من اللحم :

ــ لاتنس أن تبلغ مسيو (فورجيه) شكرى الشديد ،

على هذه الحفاوة البالغة .

وأغلق الرجل الباب خلفه ، دون أن يجيبه بشيء ، فى حين توقف هو عن تناول الطعام ، وهو يفكر فى حجم المشكلة التى يواجهها ، إذ سرعان ما يتبيَّن (فورجيه) عدم صدق الرواية ، المتعلقة بالميكروفيلم ، وبعدها سيقوم بالتخلّص منه فى سجنه هذا ، محاطًا بأولئك الرجال المسلحين ، وتلك الجدران الصلبة ، ولن يتمكّن من الفرار بسهولة ..

إذن فما هو الحل ؟..

فكر (ممدوح) طويلًا .. لابد له أن يعتمد على عنصر المفاجأة والمخاطرة ، فذلك هو الحل الوحيد لمواجهة هذا المأزق ، ولكن يتعين عليه أن يجعلها مخاطرة محسوبة ، وإذا كان يتعين عليه مواجهة الموت ، فإن عبء الواجب الوطنى ، الملقى على عاتقه فى هذه المهمة ، يقتضى منه أن يحرص على الحياة ، حتى يستطيع أن يؤديها على أكمل وجه .

ومرّ على (ممدوح) يوم ونصف يوم سجينًا فى هذه الغرفة ، يراقب بانتظام دخول المسلحين الثلاثة إلى غرفته ، لتقديم الوجبات الثلاث إليه ، فى مواعيد محدودة ومنتظمة ، وعندما حان موعد العشاء ، كان (ممدوح) قد جلس على المقعد المواجه

للمائدة ، ولباب الغرفة ، وهو يأمل أن يكون الرجل ، الذى يحمل له صينية الطعام فى كل مرة ، قد استجاب لمطلبه ، الذى طلبه منه فى أثناء إحضاره طعام الغذاء ، فقد ألحَّ عليه فى إحضار كمية من الشطة الحمراء ، وأخبره أنه اعتاد تناول الشطة ، وإضافتها بكميات كبيرة لطعامه ، وإنه لا يستسيغ الطعام دون ذلك ..

وعندما فُتحَ باب الغرفة ، كان أوَّل ما فعله (ممدوح) هو أن ألقى نظرة سريعة على الصينية ، ليراقب الملّاحة ، وقد وُضع فى إحدى فتحتيها كمية كبيرة من الشطة الحمراء ، ووقف الرجلان المسلحان بالمدافع الرشاشة فى مكانهما المعتاد ، عند باب الغرفة ، فى حين تقدم الرجل المسلّح بالمسدس ، المدلّى من خصره ، بصينية الطعام ، ليضعها على المائدة المواجهة لـ (ممدوح) ، وقبل أن يتأهب الرجل للانصراف ، صرخ فيه (ممدوح) قائلًا :

ــ ما هذا ؟

تحول إليه الرجل ، قائلًا بغلظة :

ــ ما الذى هناك ؟

أجابه (ممدوح) :

— حشرة .. توجد حشرة فى الحساء .

وتقدّم الرجل عائدًا إلى المائدة، لينظر إلى الصينية، قائلًا :

— أين هذه الحشرة؟

صاح فيه (ممدوح) :

— ألا ترى؟.. هاهى أمامك ، فى الحساء .

وانحنى الرجل لينظر فى وعاء الحساء ، فما كان من (ممدوح) إلا أن تناول الملّاحة ، ليلقى بالشطة والملح فى عينيه ..

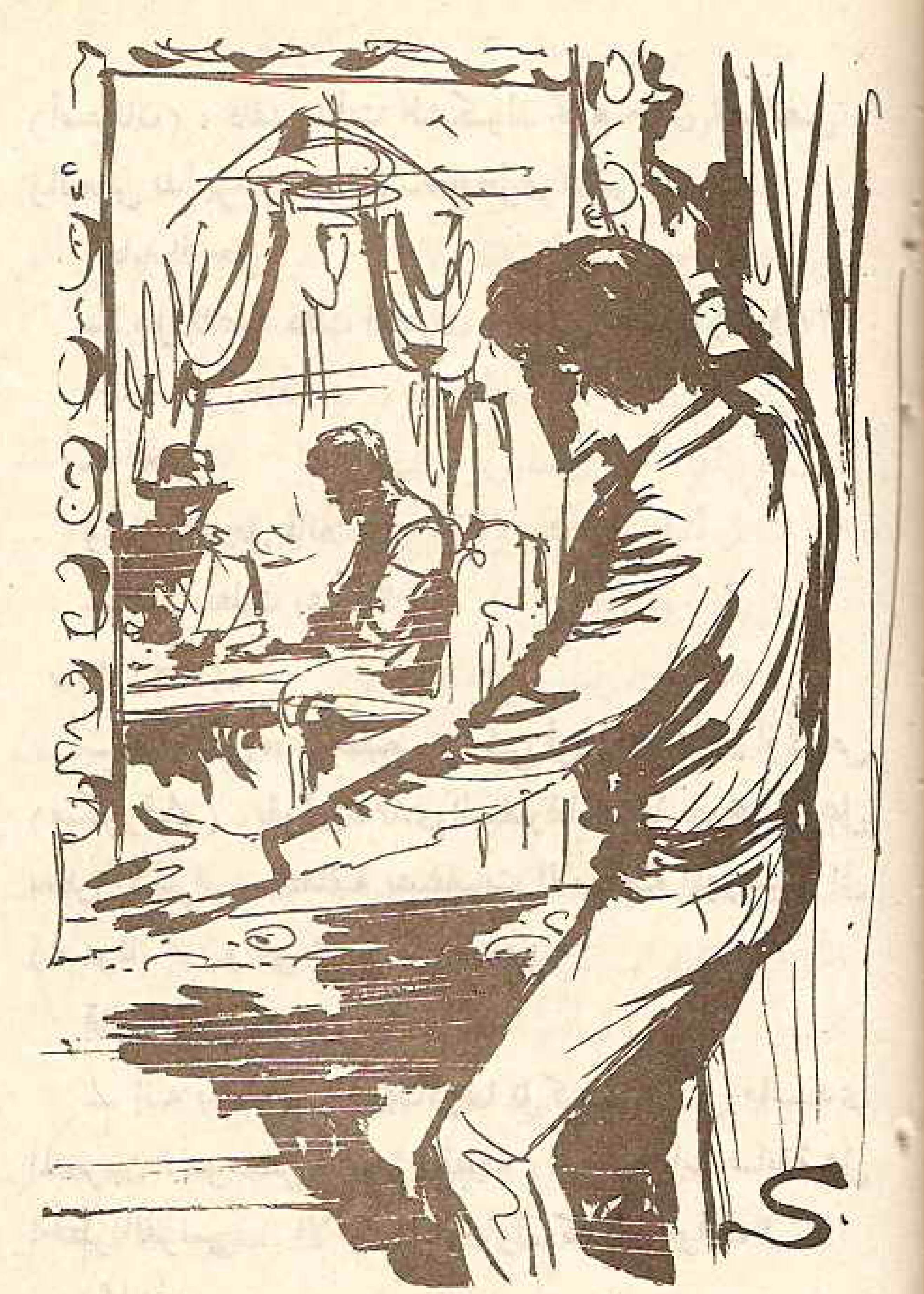
وصرخ الرجل لدخول الشطة الحمراء فى عينيه ، ولكن قبل أن يقوم الشخصان الآخران ، الواقفان عند الباب ، بأى رد فعل ، كان (ممدوح) قد جذب مسدس الرجل من جرابه ، مسدِّدًا طلقتين سريعتين إلى صدريهما ، قبل أن تلمس أصابعهما زناد مدفعيهما ، فخرا صريعين فى الحال ، وهوى (ممدوح) بمؤخرة المسدس على رأس الرجل ، الذى التهبت عيناه ، من أثر الشطة الحمراء ، فهوى فوق صينية الطعام ، ليسقط مع المائدة على الأرض ، وقد تناثرت حوله الأطعمه ..

واندفع (ممدوح) سريعًا ليغادر الحجرة ، وفى حوزته المسدس المزوَّد بعازل للصوت ، والذى استولى عليه ، واندفع

يركض عبر ممر طويل ، حتى استقر به الحال فى ردهة واسعة . تحتوى على عدد من الحجرات ، ورأى الشرفة التى تقع فى نهاية الردهة ، فتقدّم نحوها حثيثًا بخطوات حذرة ، لكنه سرعان ماتوقّف ، عندما سمع صوت أقدام قادمة فى اتجاهه ، ووجد نفسه إلى جوار أحد الأبواب ، فحاول فتحه ، ولكنه وجده مغلقًا فإندفع يفحص عددًا من أبواب الغرف الأخرى ، حتى تمكّن من فتح إحداها ، والدخول إليها ، قبل أن يلمحه أحد .

كانت الغرفة مظلمة ، ولكن (ممدوح) استطاع أن يتبيّن فى الظلام وجود ستارة مسدلة ، على أحد جوانب الغرفة ، فظن أنها تخفى إحدى النوافذ ، وسارع بفتحها ، ولكنه أصيب بخيبة أمل ، عندما وجد أنه لايوجد خلف الستار سوى مرآة كبيرة ، فتحوّل عنها ، للبحث عن أية منافذ أخرى ، يمكنه الهرب من خلالها ، ولكنه سرعان ما توقّف عن البحث ، وعاد إلى المرآة ، ليتوقّف أمامها مرة أخرى ، فليس من المعتاد أن يُسدل ستار على مرآة ، إلا إذا كانت مرآة غير عادية ، أو ذات طراز خاص ..

ووقف (ممدوح) يفحص المرآة بعناية ، وأخذت يده تتحسّس جوانبها بدقة ، إلى أن استقرّت أصابعه على زر



وكان هنـــاك بالفعـــل حديث يدور بين
(فورجيه) وذلك الرجل معه فى الغرفة ..

صغير ، فى جانبها السفلى ، وضغط الزر ، فكشفت المراة عن لوح زجاجى ، تظهر خلفه حجرة أخرى ، شديدة الفخامة والثراء ، وقد جلس فيها شخصان ، عرف (ممدوح) فى أحدهما (ميشيل فورجيه) ، أما الآخر فلم تسعفه ذاكرته فى تعرّفة ، وإن كان واثقًا فى أنه قد رأى وجهه من قبل ..

لقد تبيَّن له الأمر ، فهذه المرآة ليست سوى مرآة عاكسة ، يستطيع من يقف أمامها أن يرقب مايدور بالحجرة المجاورة ، دون أن يستطيع من بداخل هذه الحجرة رؤيته ، ولابد أن (فورجيه) كان يستخدمها للتجسس على أعوانه وعملائه ، ومراقبة ما يدور بينهم من أحاديث ..

وكان هناك بالفعل حديث يدور بين (فورجيه) ، وذلك الرجل معه فى الغرفة ، ولكن ما دام الأمر كذلك ، فلا بد أن هذه المرآة مزوَّدة أيضًا بسمّاعة ، تتيح لمن يستخدمها الاستماع إلى ما يدور داخل الغرفة من أحاديث ..

وأخذ (ممدوح) يبحث فى جوانب المرآة ، حتى استقرّت أصابعه على زر آخر ، ضغط عليه فتمكَّن من الاستماع إلى صوت (فورجيه) ، وهو يقول لذلك الرجل :

ــ إننى أرى أن تتوقّف مؤقتًا عن تهريب الأسلحة إلى

(أسترتان) ، فلقد بدأت الشكوك تحوم حول مصانعي . والبعض بدأ يرسل جواسيسه لتحرّى الأمر .

أجابه الرجل :

ـ هل تقصد ذلك المصرى ، عميل المكتب (١٩) ؟

أجابه (فورجيه) :

ـ نعم .

وسأله الرجل قائلًا :

ـ ماذا فعلت بشأنه؟

(فورجيه) :

ـ سأتخلص منه بالطبع ، ولكنى أريد أن أتحرّى أوّلًا عن (ميكروفيلم) ، يقول إنه لدى السفارة المصرية ، ويحتوى على بعض الأسرار ، المتعلقة بصفقات الأسلحة المهّربة إلى (استرتان) ، والتى يمكن أن تديننى .

قال الرجل بحماس :

ـ إنه يكذب ، فمصادرنا تؤكد أن كل مالدى المصريين ، هو بعض الصور القديمة ، عن صفقات سابقة على الحظر الفرنسى .. الاترى إنه يحاول كسب الوقت؟

(ممدوح) :

ـ إنه سيموت على كل حال فى النهاية .

قال الرجل بنفس الحماس :

ـ أنصحك ألا تؤجل ذلك ، إن (ممدوح عبد الوهاب) من أخطر عملاء المكتب (١٩) ، بل إنه أخطرهم على الإطلاق ، ووجوده على قيد الحياة قد يفسد عملنا كله .

وابتسم (فورجيه) باستخفاف ، قائلًا :

ـ إنك تبالغ فى تصوير ذلك الرجل .. من الواضح أنه محترف فى أدائه لعمله ، ولكنه بالنسبة لى لا يساوى شيئًا .

قال الرجل بإصرار :

ـ إننى أحذرك من الاستهانة به .

وعندئذ ضرب (ممدوح) براحته على جبهته ، وهو يهتف بهمس :

ـ عرفته .. إنه الكولونيل (دان) المسئول عن النشاط الخاص بالمخابرات الأسترتانية ، ويُعرف برجل العمليات السرية .. كيف لم أتعرفه من قبل؟

وسمع (فورجيه) يرد عليه قائلًا :

ـ دعك منه الآن ، فهو لايستحق كل هذا القدر من المناقشة ، وقل لى : ما رأيك فى التوقف لبعض الوقت عن

تهريب الأسلحة ، التى سبق التعاقد عليها ، إلى (استرتان) ؟

قال الكولونيل (دان) ، بعد أن فكر قليلًا :

ــ القيادة العسكرية الأُسترتانية يمكنها أن تنتظر قليلًا ، بشأن بعض الأسلحة التى سبق الاتفاق عليها من قبل ، إذا كان ذلك سيشكل خطراً على سرية تلك الصفقات ، إلا قذائف (الهاون) الجديدة ، التى أنتجتها مصانعك ، فسلاح المدفعية بحاجة ماسة إليها ، ولدى أوامر محدودة بالاتفاق معك ، على شحن أكبر قدر منها لصالح الجيش الأُسترتانى .

(فورجيه) :

ــ ولكننى أخبرتك أن العيون تراقبنا ، فها هوذا المكتب (١٩) المصرى يتحرى الأمر ، ويرسل أحد رجالـه للتـجسس علىَّ ، وهناك المخابرات الفرنسية ، وقد بدأ رجالها يشكون فى أمرنا أيضًا ، كما أن لدى معلومات أن المخابرات السوفيتيـة (الكى . جى . بى) ، بدأت تحوم حول مصانعى أيضًا .

نظر إليه (دان) قائلًا بخبث :

ــ أأنت خائف ؟

وردّ عليه (فورجيه) قائلًا :

ــ كلا ، ولكن لا بد من الحرص .

الكولونيل (دان) :

ــ فلتكن هذه هى عمليتنا الأخيرة ، ثم نتوقّف مؤقتًا ، فنحن بحاجة ماسة إلى القذائف الجديدة ، التى تنتجها مصانعك .

وبعد برهة من الصمت والتفكير ، قال (فورجيه) :

ــ حسنًا .. ستقلع السفينة بعد غد ، من الميناء ، وعلى متنها الكمية التى تطلبونها من القذائف .

الكولونيل (دان) .

ــ وكيف سيتم الاستلام ؟

(فورجيه) :

ــ بالطريقة المعتادة ، ستقلع سفينتى المتجهة إلى جمهورية (جيبوتى) بعد غد ، وهى محمّلة بالأسلحة ، التى تنتجها مصانعى ، لتسليمها إلى ثوار دولة (نودكا) ، القريبة من (جيبوتى) ، عن طريق الميناء ، الذى يسيطر عليه الثوّار ، ووفقًا للاتفاق المعقود بينى وبين الحكومة الفرنسية ، المناوئة لحكم الديكتاتور (الفونسو) ، الذى يقاومه الثوار ، والذى يناصب (فرنسا) العداء ، ولكن شحنات الأسلحة ، التى ستحملها سفينتى ، ستتجاوز بالطبع كمية ونوعية الأسلحة

المتفق عليها ، مع الحكومة الفرنسية ، حيث يقوم رجالى بإلقاء صناديق الأسلحة الخاصة بـ (أسترتان) ، فى المكان المتفق عليه من البحر ، بالقرب من موانيكم ، حيث يقوم رجال الضفادع البشرية التابعون لكم بالتقاطها ، ونقلها إلى الغواصة الأسترتانية ، التى تنتظر لهذا الغرض ، والتى تقوم بنقلها إلى (أسترتان) ، ألا يجرى الأمر بيننا دائمًا على هذا المنوال ؟

نهض (دان) من فوق مقعده ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، وقد أخذ يذرع الغرفة قائلًا :

— ولكن تكرار هذه الوسيلة ، ألا يلفت إلينا الأنظار ، خاصة وأنت تقول إنهم بدءوا يشكون فى عملياتك ، ويحومون حولك ؟ ألا توجد وسيلة أخرى ؟

(فورجيه) :

— ليس لدينا وقت للتفكير فى وسيلة أخرى ، ثم إننا سنتوقف بعدها عن القيام بعمليات أخرى لبعض الوقت ، كما اتفقنا . أليس كذلك ؟

(دان) :

— وماذا بشأن التفتيش على السفينة ؟

(فورجيه) :

— سيقتضى الأمر وضع رشوة كبيرة هذه المرة ، لمفتش وزارة الدفاع الفرنسية ، لشحن كل هذه الكمية المطلوبة من قذائف (الهاون) ، وهم يعتقدون بالطبع أننى أتاجر بهذه الأسلحة ، غير الواردة فى قائمة وزارة الدفاع الفرنسية ، لحسابى الخاص فى السوق السوداء ، مما يجعلهم يغالون فى طلباتهم .

(دان) :

— لا تقلق بهذا الشأن ، سنتكفّل بما يطلبونه ، ويمكنك أن تضيفه إلى المصاريف المتفق عليها .

(فورجيه) :

— إذن فقد اتفقنا .

(دان) :

— نعم .. وسأعاود الاتصال بك مرة أخرى ، قبل أن تتحرك السفينة .

راقب (ممدوح) (فورجيه) ، وهو يصحب (دان) خارج الغرفة ، قائلًا لنفسه :

— إذن فهذه هى حيلتهم ، فى تهريب الأسلحة إلى

(استرتان) أعتقد أن (فورجيه) قد وقع أخيرًا فى المصيدة .

وأعاد إسدال الستار على المرآة العاكسة ، ثم استدار لمغادرة الغرفة ، ولكنه فوجئ بشخص ضخم الجثة يقف خلفه ، مسددًا إليه فوهة بندقيته الآلية ، وعلى وجهه تعبير صارم ، قائلًا :

ـــ هل استمتعت بالمشاهدة؟

قال (ممدوح) بسخرية ، لا تتفق مع الموقف :

ـــ كانت مسلية على كل حال .

وقال الرجل بخشونة :

ـــ والآن تقدم أمامى ، رافعًا يديك إلى أعلى ، وحذار من أى تصرّف طائش ، وإلا مزقتك برصاص بندقيتى .. هيا .. تقدّم .

* * *



٩ ـــ الهروب المثير ..

رفع (ممدوح) يديه عاليًا ، وهو يتظاهر بالاستسلام ، ولكنه وثب فجأة بقوة نحو المرآة ، مخترقًا الستار المسدل عليها ، واللوح الزجاجى العاكس خلف بلورتها ، فى قفزة انتحارية جريئة ، ليقذف نفسه على أرضية الحجرة المجاورة ، وكانت الحركة مفاجئة ، بحيث أصابت الرجل بالشلل لحظة ، وبعدها انطلقت رصاصات بندقيته ، لتخترق المرآة خلف (ممدوح) ..

وعلى الرغم من الجروح التى أصابته ، من الشظايا الزجاجية ، فقد نهض (ممدوح) سريعًا ، ليندفع نحو باب الشرفة الموجودة بالحجرة ، فيفتحه متجهًا إلى حافة الشرفة ، التى وثب إليها فى مرونة وجرأة غير عاديين ..

وفى اللحظة التى اقتحم فيها الغرفة عدد من الرجال المسلحين ، إثر الضجة التى حدثت ، وبينما كان الشخص الذى أراد القبض على (ممدوح) يدلف إليها بدوره ، عبر المرآة



ولكنه وثب فجأة بقوة نحو المرآة ، مخترقًا الستار المسدل عليها ، واللوح الزجاجى العاكس خلف بلورتها ..

الخطمة ، كان ممدوح قد قفز من الشرفة إلى حديقة القصر ، وكان (فورجيه) بدوره قد دخل إلى الحجرة ، لاحقًا بأعوانه ، بعد أن عرف حقيقة الأمر ، وأخذ يصدر أوامره إليهم فى عصبية ، بضرورة القبض على (ممدوح) ، الذى اندفع يركض فى حديقة القصر ، إلى أن اعترضه شخصان ، صوّبا إليه أسلحتهما ، لإطلاق الرصاص عليه ، ولكنه بادرهما بإطلاق رصاص مسدسه ، فأصابهما إصابة بالغة ، وهنا برز له شخص ثالث ، ببندقية آلية ، أطلق رصاصة كادت تخترق كتفه ، وصوَّب (ممدوح) مسدسه فى اتجاهه ، ولكنه فوجئ بأنه قد فرغ من الطلقات ، وتقدّم الرجل نحوه خطوتين ، شاهرًا بندقيته ، وعلى وجهه ابتسامة ظافرة ، لكن (ممدوح) ألقى بنفسه على الأرض ، متدحرجًا فى سرعة ومرونة ، على أرض الحديقة العشبية ككرة بلاستيكية ، فى اللحظة التى انطلقت فيها نحوه رصاصة الرجل ، الذى وجد نفسه على الأرض ، بعد أن جذبه (ممدوح) من قدميه فى قوة ، وقبل أن يمكّن الرجل من لمس بندقيته ، التى سقطت على مقربة منه عندما هوى أرضًا ، كان (ممدوح) قد كال له ثلاث لكمات قوية ، خارت على إثرها قواه ، وفقد وعيه ..

ونهض (ممدوح) سريعًا ، قبل أن يتمكّن من الاستيلاء على البندقية ، فقد هرع فى اتجاهه ثلاثة أشخاص آخرون ، محاولين ألقاء القبض عليه ، فقفز من فوق الشجيرات الصغيرة التى تجاوره ، مندفعًا فى الاتجاه المخالف ، ولكن سرعان ما اعترضه شخصان آخران ، صوّبا أسلحتهما فى اتجاهه ، ولمح (ممدوح) على مقربة منه خرطومًا للمياه ، مخصصًا لرى الحديقة ، فتناوله سريعًا ، بعد أن فتح الصنبور ، فى اللحظة التى اقترب فيها الشخصان المسلحان ، مسلطًا مياهه عليهما .

وأحدثت المياه المتدّفقة من الخرطوم أثرها ، فى تشتيت الرجلين ، وأعاقتهما عن إصابة (ممدوح) ، الذى كشف فجأة عدم جدوى المقاومة ، بعد أن وجد نفسه محاصرًا بستة أشخاص ، يلتفون حوله من كل جانب ، وقد شهر كل منهم سلاحه فى وجهه ، فلم يجد بدًّا من الاستسلام .

وصحبه المسلحون الستة إلى مدخل قصر (فورجيه) ، الذى كان يقف على الدرْجة الأولى من سلم القصر ، وبصحبته أثنان من أعوانه ، واستقبله بابتسامة صفراء ، قائلًا :

ـــ هل تعتقد أنك تستطيع أن تفارقنا ، بمثل هذه السهولة يا مسيو (ممدوح) ؟

قال (ممدوح) ببرود :

ـــ أعتقد أنكم أيضًا قد بذلتم بعض الجهد والعرق ، فى سبيل عودتى إليكم .. أليس كذلك ؟

قال (فورجيه) ، وفى صوته رنة غامضة :

ـــ لقد سببت لنا بعض الخسائر هنا ، وسأضيفها إلى حسابك معى .. لن تكون ميتتك سريعة وحاسمة ، بل سأذيقك طعم الموت البطىء وعذابه .

وفى تلك اللحظة أقبلت سيارة (رينو) صفراء ، ذات نوافذ مغلقة ، وزجاج قاتم اللون ، لا يكشف عما بداخلها ، ونظر (فورجيه) إلى السيارة قائلًا :

ـــ من أين أتت هذه السيارة ؟ ومن سمح لها بالدخول ؟

وتوقّفت السيارة على مسافة قريبة من (ممدوح) و(فورجيه) ، حيث حدق (ممدوح) فى جانبها الأيمن ، هاتفًا وهو يرى تلك العلامة المطبوعة عليها ..

كانت تحمل الرقم (١٩) ، مسجلًا بالعربية والإنجليزية ، داخل شكل هرمى ، محاطًا بحلقة فولاذية ، وهتف (ممدوح) قائلًا لنفسه :

ـــ إنها العلامة المميِّزة للمكتب رقم (١٩) .

واستمر محرك السيارة دائرًا ، فى حين غادرها أحد الأشخاص ، متقدمًا نحو (فورجيه) ، وهو يحمل شيئًا فى يده بحرص وعناية ، وما أن رآه (فورجيه) ، حتى قال بدهشة :

ـــ (برنار) ؟! أين كنت ؟ وما هذا الذى تحمله فى يدك ؟

قال (برنار) بصوت مرتجف :

ـــ إنه الميكروفيلم ، الذى كان يحتفظ به المصريون .

نظر إليه (فورجيه) باستنكار واستغراب ، قائلًا :

ـــ الميكروفيلم ؟!.. كيف حصلت عليه ؟

وما أن أصبح (برنار) على بعد خطوتين فقط من (فورجيه) ، حتى بادره قائلًا :

ـــ سيدى .. يجب أن نجد وسيلة للتخلص من هذا الشىء فى يدى ، فهو قنبلة شديدة الحساسية للانفجار ، من الممكن أن تنفجر فى أية لحظة ، ولدى أدنى حركة غير طبيعية .

صاح (فورجيه) فى ذعر :

ـــ قنبلة ؟!

وما أن نطق بهذه الكلمة ، حتى ألقى الجميع أنفسهم على الأرض ، وقد تملكهم رعب شديد ، وصاح (فورجيه) ، وهو يتراجع إلى الوراء :

ـــ اجر بعيدًا عن هنا أيها الغبى .

قال (برنار) بخوف :

ـــ لا أستطيع أن أجرى ياسيِّدى ، فقد يؤدى هذا إلى انفجار القنبلة .

وفى تلك اللحظة فُتِحَ باب السيارة الجانبى ، وسمع (ممدوح) صوتًا يهتف به من داخلها :

ـــ (ممدوح) .. هيا اقفز هنا سريعًا .

ووثب (ممدوح) داخل السيارة بسرعة فائقة ، ليدور بها سائقها دورة حادة ، فى الاتجاه المعاكس ، متجهًا نحو مدخل القصر ، وقبل أن يتبيّن الجميع ما حدث ، انطلق من مضخة خلفية فى السيارة ، إلى جوار ماسورة العادم ، سحابة دخان رمادية كثيفة ، اختفى فيها (فورجيه) وأعوانه ، وجعلت الرؤية بالنسبة لهم منعدمة تمامًا ، ولم يعد هناك ما يمكن تمييزه ، سوى صوت السعال الشديد ، الصادر من وراء تلك السحابة الدخانية ، والذى تخلّله صوت (فورجيه) ، الذى أخذ يسب ويلعن فى حنق ، قائلًا :

ـــ أوقفوا هذا الوغد بأية وسيلة .

وانطلق الرصاص من وراء الدخان الرمادى ، دون هدف

واضح ، وبطريقة طائشة عشوائية ، فى حين ابتسم (ممدوح) قائلًا لقائد السيارة :

ــ (رفعت) .. لقد وصلت فى الوقت المناسب تمامًا .

قال (رفعت) ، وهو ينظر إلى أحد الأشخاص ، يحاول أن يقطع عليه الطريق ، شاهرًا مدفعه الرشاش فى وجه السيارة .

ــ أجّل امتنانك ، حتى نغادر هذا المكان الملعون أوّلًا .

وضغط على زر فى تابلوه سيارته ، فارتفع شىء أشبه بماسورة مدفع فى مقدمتها ، وسرعان ما أخذت هذه الماسورة المعدنية تقذف بسائل غروى أسود اللون ، لتصبه على وجه وجسد الرجل ، الذى حاول اعتراض السيارة ، مما دعاه إلى التخلّى عن سلاحه ، والانشغال بهذا الشىء اللزج ، الذى صبغه باللون الأسود ، من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وهتف (ممدوح) قائلًا :

ــ مدهش !! من أين حصلت على هذه السيارة ؟

أجابه (رفعت) ، وهو يواصل اندفاعه بالسيارة ، متجهًا نحو البوّابة الخارجية :

ــ السيارة فرنسية الصنع ، اشترتها السفارة المصرية حديثًا ، أما المعدات الفنية ، التى زوّدت بها ، فهى من الإدارة

الفنية ، التابعة للمكتب (١٩) ، وتحمل إمضاء الدكتور (سعيد) .

وحاول أحدهم إغلاق بوّابة القصر ، فى وجه السيارة القادمة ، فى اندفاع ، ولكن (رفعت) ضغط زرًّا آخر ، فى تابلوه السيارة ، فبرزت ماسورة معدنية أخرى من سطحها ، لتطلق صاروخًا (أربى جى) فى اتجاه البوّابة ، فتحطمها تمامًا ، مفسحة الطريق لمرور السيارة إلى الخارج ، وقال (ممدوح) ، وقد أخذت السيارة تنهب الطريق نهبًا :

ــ لا تنس أن تنقل تقديرى الكبير للدكتور (سعيد) ، لما فعله بهذه السيارة المعدّلة .

ابتسم (رفعت) قائلًا :

ــ سأحرص على أن أخبره بذلك .

ممدوح :

ــ بالمناسبة .. هل كانت هذه القنبلة ، التى حملها ذلك الرجل ، من ابتكارات الدكتور (سعيد) أيضًا ؟

ضحك (رفعت) قائلًا :

ــ فى الحقيقة .. إنها لم تكن قنبلة ، ولا ميكروفيلم ، إنها مجرد علبة بلاستيكية صغيرة ، استخدمتها لإخافة الرجل ، بعد

أن تمكّن رجالنا من إلقاء القبض عليه ، وهو يحوم حول السفارة المصرية ، ولقد أجبرته على أن يقودنى إلى قصر (فورجيه) ، ووضعت ذلك الشيء فى يده ، قبل أن نصل إلى بَّوابة القصر الخارجية ، بعد أن أقنعته بأنها قنبلة الكترونية شديدة الحساسية للانفجار ، واستخدمته للمرور من بوَّابة القصر ، ثم طلبت منه أن يهبط من السيارة ، ويخبر (فورجيه) أنه قد أحضر إليه ، الميكروفيلم ، وأنه إذا لم يفعل ذلك فسأطلق عليه الرصاص داخل السيارة ، وبعد ذلك حدث ماحدث .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ لقد سبَّبت الرعب للرجل .. أعتقد أنه ما يزال واقفًا حتى الآن ، وسط ذلك الدخان الرمادى ، يتساءل عما يفعله بذلك الشيء الخطير فى يده .

تحوَّل إليه (رفعت) ، قائلًا بجدية هذه المرة :

ــ والآن ، وقد ابتعدنا عن مصدر الخطر ، ماذا لديك من أخبار ؟

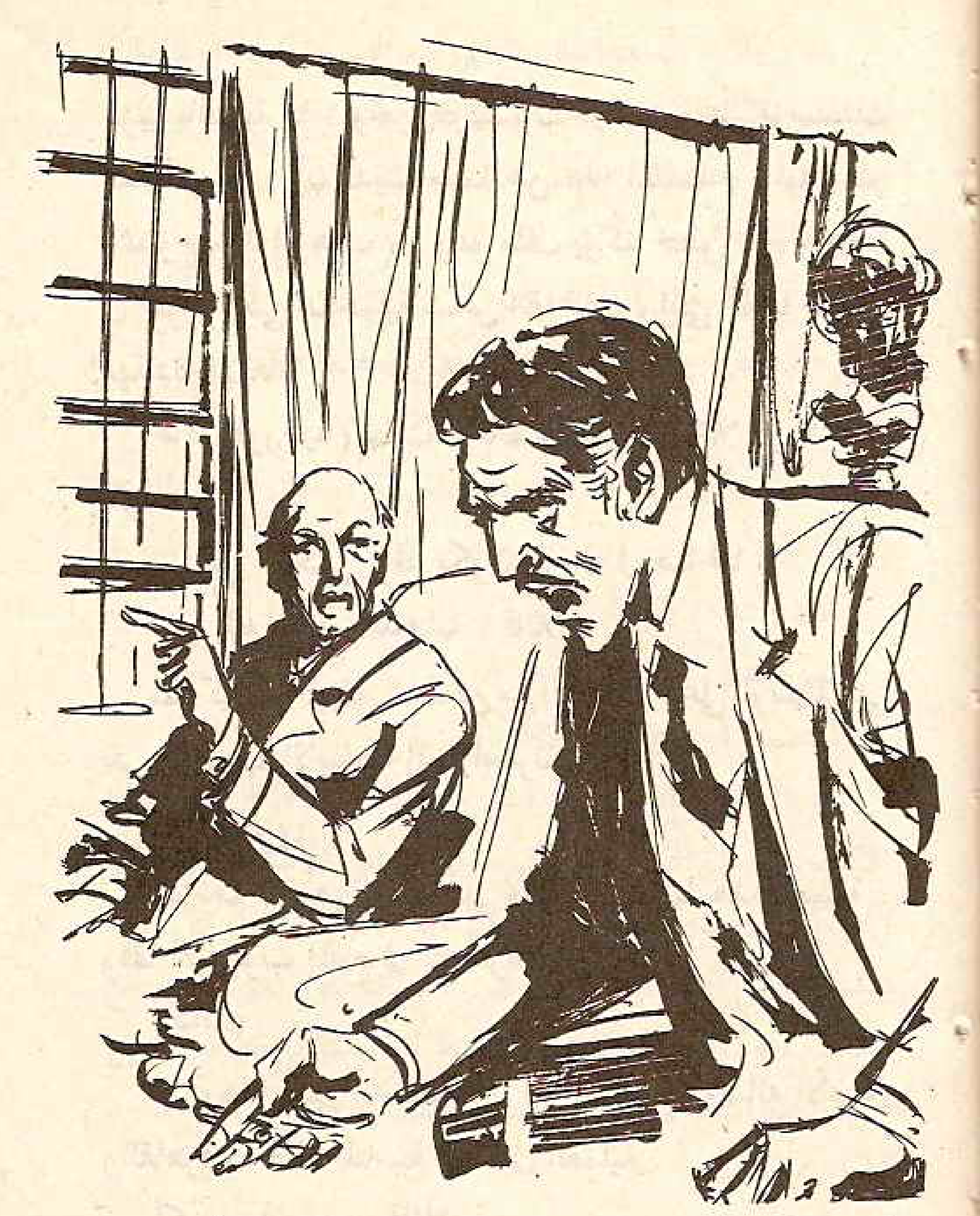
(ممدوح) :

ــ سنتحدث فى كل شيء ، بعد أن تستقر بنا فى مكان

هادئ بعيدًا عن العيون .. إن لدى الكثير يا صديقى .. الكثير جدًا .

* * *





أعادت هذه الكلمات الحاسمة ، واللهجة الحادة ، (دان) إلى صوابه ، فقال مخففًا من لهجته : ــ عزيزى (فورجيه) .. إننى لا أقصد أن أؤنبك ..

١٠ ــ مهمة حرجة ..

صرخ الكولونيل (دان) فى وجه (فورجيه) ، قائلًا :

ــ هرب ؟! تركته يهرب منك ؟! ألم أحذرك منه ؟ كيف تركته يهرب منك هكذا ، وأنت محاط بجيش من رجالك المدربين والمسلحين ؟

نفث (فورجيه) دخان سيجاره ، وعلى وجهه ملامح الغضب ، قائلًا بحدة :

ــ (دان) .. لا تتجاوز حدودك .. إننى لا أسمح لك أن تحدثنى بهذا الأسلوب ، فأنا لا أعمل تحت إمرتك .. ولست عميلًا من عملائك السريين .

أعادت هذه الكلمات الحاسمة ، واللهجة الحادة ، (دان) إلى صوابه ، فقال مخففًا من لهجته :

ــ عزيزى (فورجيه) .. إننى لا أقصد أن أؤنبك ، ولكنى تحدثت معك على هذا النحو ، لأننى أخشى عليك من الأضرار ، التى يسببها هروب ذلك الرجل ، فأنت صديق

عزيز بالنسبة لنا ، ونحن حريصون عليك ، وعلى مؤسستك العسكرية .. إن لدينا ملفًا عن هذا المقدم ، المدعو (ممدوح عبد الوهاب) ، وهو ملف يؤكِّد خطورته ، ونجاحه فى الهرب يعنى أن عملية شحن القذائف ، التى اتفقنا عليها ، مهدّدة بالإلغاء .

عاد (فورجيه) ينفث دخان سيجاره ، قائلًا ببرود هذه المرة :

ــ على العكس ، قد يكون هروبه فى صالحنا .

نظر إليه (دان) بدهشة ، قائلًا :

ــ كيف ؟ ألم تقل إنه تمكّن من الاطلاع ، على الوسيلة التى يتم بها تهريب الأسلحة إلى (أسترتان) ؟

(فورجيه) :

ــ نعم .. وهو يعرف أننى مستمر فى تنفيذ هذه العملية ، وفقًا للأسلوب المتبع فى كل مرة .

(دان) :

ــ وهذا يعنى أنه يستعد ، ويدرس مع رؤسائه الآن فى (القاهرة) الخطة المناسبة لإفشال العملية .

أكمل (فورجيه) قائلًا:

ــ وإبلاغ السلطات والمخابرات الفرنسية بتفاصيلها ، وربما وسائل الإعلام أيضًا ، لكى يكون فى هذا نهاية (فورجيه) وصفقاته معكم .

(دان) :

ــ وهذا يعنى أنه لا بد من الامتناع عن شحن الأسلحة التى طلبناها ، حتى نفوّت عليه ومن معه هذه الفرصة .

قال (فورجيه) بثقة واستعلاء :

ــ القذائف التى طلبتموها ستشحن ، على النحو الذى اتفقنا عليه .

عاد (دان) يقول :

ــ كيف ؟

ابتسم (فورجيه) ، قائلًا :

ــ الم تتحدّث معى من قبل ، عن وسيلة أخرى لنقل هذه الأسلحة ؟ إن السفينة ، التى ستتولى نقل الأسلحة إلى ثوار (نودكا) ، ستواصل رحلتها كما هو مقدّر لها ، وعلى متنها عشرات من الصناديق الأخرى ، التى تتجاوز المتفق عليه مع الحكومة ووزارة الدفاع الفرنسية ، ثم ستلقى بحمولتها من الصناديق الزائدة ، وفقًا للمتفق عليه ، فى المكان المحدود تمامًا .

وقال (دان) باستنكار :
ــ ثم ماذا ؟
اتسعت ابتسامة (فورجيه) وهو يقول :
ــ ثم تقوم الغواصات والسفن الفرنسية بعمليات إنزال مفاجئة ، لانتشال هذه الصناديق ، والكشف عما تحمله ، وربما كانت معهم بعض السفن المصرية ، وحملة كبيرة من رجال ووسائل الإعلام .
عاد (دان) يقول فى توتر :
ــ ثم ماذا ؟
(فورجيه) :
ــ ثم سيفتحون هذه الصناديق ، ليجدوا داخلها بعض مخلفات مصانعى ، من الحديد والصلب ، ومخلفات الإنتاج .. أى أن الأمر سيقتصر على التخلص من نفايات مصانع الأسلحة ، التى ينتجها (فورجيه) ، بإلقائها فى البحر ، داخل هذه الصناديق ، الزائدة عن الشحنة المصدّرة لثوار (نودكا) ، وبالطبع لن تكون هناك غواصات استرتانية ، ولا رجال ضفادع بشرية استرتانية .
علت الابتسامة وجه (دان) لأول مرة ، قائلًا :

ــ مدهش .. وبذلك تضع المصريين والمسئولين فى وزارة الدفاع والحكومة الفرنسية فى حرج بالغ ، يحول بينهم وبين التعرّض لك فى المستقبل ، ويمحو شكوكهم حولك .
(فورجيه) :
ــ بل إننى قد أطالبهم بتعويض ، لتعرّضهم لسفينتى والإساءة إلىَّ على ذلك النحو .
(دان) :
ــ خطة رائعة ، ولكن ماذا بشأن الشحنة المتفق عليها بيننا ؟
(فورجيه) :
ــ ستتم ، ولكن ستتأخر بضعة أيام فقط ، وسننفِّذها بأسلوب مختلف ، عن ذلك الذى كنا نتبعه من قبل ، ثم لا تنس أن عمليتهم الفاشلة ستتيح لنا غطاءً رائعًا ، لتنفيذ عدة صفقات أخرى من الأسلحة فيما بعد ، فى حالة ما إذا ما استمر الخطر .
(دان) :
ــ حسنًا .. وما هى خطتك بشأن تهريب القذائف ؟
ابتسم (فورجيه) فى خبث ، ثم بدأ يشرح خطته ..

* * *

انفعل (ممدوح) ، قائلًا للواء (مراد) :

ــ نفايات صناعية؟ . كيف؟

أجابه اللواء (مراد) بوجوم :

ــ هذا هو كل ما عثر عليه رجال البحرية الفرنسية .. صناديق مشحونة بمخلفات ونفايات صناعية ، متخلفة عن انتاج مصانع الأسلحة ، التى يملكها (فورجيه) ، ولم يكن هناك وجود للاسترتانيين مطلقًا .

(ممدوح) :

ــ ولكننى سمعت تفاصيل خطتهم بنفسى، فى قصر (فورجيه) ، والاتفاق المبرم بينهم كان ينص على تهريب أسلحة (فورجيه) إلى (استرتان) بهذه الوسيلة ، وسبق تنفيذ أكثر من عملية وفقًا لهذا التخطيط .

اللواء (مراد) :

ــ كان يجب أن نضع فى حسابنا أنهم سيعدلون خططهم ، بعد أن اطلعت عليها ، وخاصة بعد هروبك من القصر ، فلم يكن يمكنهم المخاطرة ، بعد اطلاعك على أسرارهم .

(ممدوح) :

ــ ولكن الاسترتانيين كانوا بحاجة ماسة إلى قذائف

المدفعية ، التى تنتجها مصانع (فورجيه) ، وقد تحركنا سريعًا ، قبل إقلاع السفينة بساعات .

اللواء (مراد) :

ــ وهم أيضًا تحرّكوا سريعًا ، لإلغاء العملية ، فالمخاطرة بالنسبة لهم كانت أكبر من رغبتهم فى الحصول على قذائف المدفعية .. المشكلة أننا قد أصبحنا فى موقف حرج للغاية ، أمام الحكومة الفرنسية ، بعد انسياقهم وراء المعلومات التى قدمناها إليهم ، وتورطهم على هذا النحو ، وهذا يعنى أننا لن نستطيع أن نشير إلى كلمة واحدة تمسّ (فورجيه) فيما بعد .

قال (ممدوح) ، وعلى وجهه علامات الرفض :

ــ يصعب على أن أتصور أن الاسترتانيين يتخلون عن تلك الصفقة ، بمثل هذه السهولة .

نهض اللواء (مراد) من فوق مقعده ، قائلًا بيأس :

ــ على كل حال ، فالمهمة قد انتهت بالنسبة لك يا (ممدوح) ، وها هوذا (فورجيه) يعلن انتصاره علينا ، بإقامة احتفال كبير ، فى جزيرته اليونانية ، داعيًا إليه كبار الفنانين الفرنسيين والعالميين ، فى الأسبوع القادم .. لابد أنه مزهو الآن ، لأنه تمكّن من خداعنا ، ووضعنا فى هذا الموضع الحرج

أمام الجميع .

انتفض (ممدوح) فوق مقعده فجأة ، قائلًا :

ــ احتفال ؟! وما المناسبة ؟

اللواء (مراد) .

ــ ليست هناك مناسبة .. لقد اعتاد إقامة مثل هذه الحفلات ، ودعوة كبار الفنانين العالميين إلى جزيرته ، من باب الوجاهة الاجتماعية والتفاخر ، خاصة وأن له أصدقاء كثيرين ، فى هذا الوسط .. الجريدة الفرنسية أمامك على المكتب ، وهى تؤكّد ذلك .

تناول (ممدوح) الجريدة ، يقرؤها بإمعان ، ثم قال :

ــ ولكن المعلومات ، التى توصّلت إليها ، كانت تفيد بأن (فورجيه) لا ينوى مغادرة (فرنسا) ، خلال الشهور القادمة .

اللواء (مراد) :

ــ (ممدوح) فيم تفكر ؟

ممدوح :

ــ أفكّر فى احتمال ، ربما كان ضئيلًا ، ولكننى أنوى التشبث به .

اللواء (مراد) :

ــ وما هو هذا الاحتمال ؟

(ممدوح) :

ــ سأخبرك به يا سيّدى ، ولكن أرجو أوّلًا أن تعتبر مهمتى مازالت قائمة ، وألا تُغلق ملف (ميشيل فورجيه) الآن .

اللواء (مراد) :

ــ آسف يا (ممدوح) لن أستطيع أن أطلب ذلك من المسئولين مرة أخرى .. الأمر أصبح حرجًا للغاية ، بيننا وبين الفرنسيين .

(ممدوح) :

ــ لن يكون للفرنسيين دخل بعملنا هذه المرة .. إنهم بحاجة إلى دليل إثبات ، وسوف نقدم لهم هذا الدليل بوسائلنا الخاصة ، فإذا فشلنا فسوف يكون ذلك مسئوليتنا وحدنا .

اللواء (مراد) :

ــ لن أستطيع أن أقدّم لك موافقتى ، إلا بعد أن تطلعنى على ما يدور فى رأسك أوّلًا .

(ممدوح) :

ـــ لقد قرأت فى هذه الجريدة أن سفينة خاصة ، من سفن (فورجيه) ، ستقوم بنقل الفنانين والمشاهير ، الذين دعاهم (فورجيه) ، من (فرنسا) إلى الجزيرة اليونانية .

اللواء (مراد) :

ـــ نعم .. هذا وارد فى الجريدة ، وهو نوع من زيادة التكريم ، يبديه (فورجيه) نحو أصدقائه .

(ممدوح) :

ـــ حسنًا .. أريد أن أكون ضمن راكبى هذه السفينة .

اللواء (مراد) :

ـــ كيف؟ ولماذا؟

(ممدوح) :

ـــ كيف هذه ستكون مهمة الإدارة .. أما لماذا ، فسوف أشرح لك الاحتمال الذى يدور فى رأسى بشأن هذه السفينة ، ولو كنت على حق ، فسيعنى هذا نهاية (فورجيه) .. وهزيمة جديدة للأستراتانيين .

* * *

١١ ـــ المخزن الغامض ..

نظر الشاب إلى صديقه ، وهو يتناول مشروبه ، قائلًا :

ـــ عزيزى (لويس) أراك سعيدًا اليوم ، تُرى ما سر سعادتك هذه؟.. أيكون (جوناثان) قد تخلى عن نجله ، وزاد من أجرك ؟

قال الشاب مبتسمًا :

ـــ لقد تركت العمل لدى (جوناثان) .

نظر إليه صديقه باستنكار ، قائلًا :

ـــ تركت العمل لديه؟ ولكن أين ستعمل؟

أجابه الشاب بزهو :

ـــ سأعمل على سفينة (ميشيل فورجيه) ، التى ستبحر غدًا إلى (اليونان) .

أطلق صديقه صفيرًا عاليًا ، قائلًا :

ـــ (ميشيل فورجيه) ، صاحب مصانع الأسلحة؟

قال صديقه ، وهو لايقوى على إخفاء سعادته :

— نعم هو بعينه .. الطاهى الذى يعمل لديه يحتاج إلى مساعد ، بعد أن هاجر مساعده إلى (كندا) ، وقد توسَّط صديق لى ، على صلة وثيقة بهذا الطاهى ، لكى أعمل ضمن مساعديه ، فوافق على أن أكون مساعده ، على السفينة التى تحمل أصدقاء (فورجيه) ، من الفنانين والمشاهير ، إلى جزيرته الخاصة ، على أن يثبتنى فى العمل بصفة دائمة معه ، لو نجحت فى الحصول على ثقته ورضائه عنى ، خلال رحلة السفينة ..

قال صديقه :

— سيكون حظك من السماء ، لو نجحت فى العمل لحساب (فورجيه) ، فهو يدفع بسخاء ، لمن يعملون لديه .

— لقد عرفت أن راتبى سيكون ثلاثة أضعاف الراتب ، الذى كنت أحصل عليه لدى (جوناثان) ومطعمه الكئيب ، وأنه سيزيد فى حالة إثبات جدارتى ، وتثبيتى فى العمل .

ربَّت صديقه على كتفه ، قائلًا :

— لقد بدأ الحظ يحالفك ياصديقى .. سنشرب كأسًا أخرى ، احتفالًا بهذه المناسبة .

ولكن صديقه الشاب قال ، وهو يدفع الحساب للساقى :

— تناوله وحدك ، وعلى نفقتى ، فسوف آوى للفراش

مبكرًا ، لأنه لابد من تواجدى على ظهر السفينة فى السابعة صباحًا قبل الإقلاع .

وسار (لويس) على قدميه ، فى أحد شوارع الميناء الجانبية ، متجهًا إلى منزله ، الذى كان قريبًا من المقهى ، ولكن سمع فجأة صوتًا يناديه أثناء سيره ، هاتفًا باسمه ، فتلفّت حوله ، بحثًا عن مصدر الصوت ، فوجده صادرًا من سيارة سوداء صغيرة ، تقف إلى جوار الرصيف ، ونظر (لويس) داخل السيارة ، بعد أن فتح سائقها بابها ، قائلًا :

— هل ناديتنى ؟

أجابه الشخص الجالس داخلها :

— إنك ستعمل على سفينة (ميشيل فورجيه) ، التى ستغادر الميناء غدًا .. أليس كذلك ؟

ردّ عليه (لويس) :

— وما شأنك بذلك ؟

أجابه ذلك الشخص :

— لقد كلّفت مصاحبتك إلى السفينة الليلة ، فلابد أن يكون جميع العاملين على ظهر السفينة جاهزين قبل الإبحار ، وأن يقضوا ليلتهم على السفينة حتى يمكن الاطمئنان على كل شىء .

نظر إليه (لويس) ، وعلى وجهه شيء من التـــردد والارتياب ، قائلًا :

ـــ ولكننى لا أعرفك .. ثم إننى لابد أن أتوجه إلى شقتى أوّلًا ، لأرتب أمورى ، وأحضر حقيبتى .

أخرج الرجل الجالس فى السيارة بخّاخة صغيرة ، ضغط عليها ، مطلقًا رذاذاً على أنف (لويس) ، وهو يقول :

ـــ آسف يا صديقى ، ولكنك يجب أن تأتى معى .

وفقد (لويس) الوعى ، ثم قام أحد الأشخاص الآخرين ، كان يراقب الطريق ، بمساعدة قائد السيارة على إدخال (لويس) داخلها ، ثم انطلقت السيارة مبتعده بمن فيها .

* * *

طرق (رفعت) الباب عدة طرقات ، قبل أن يُفتح ، وجد (ممدوح) جالسًا ، وقد التفّ حوله شخصان ، يقومان بإجراء بعض التغييرات فى ملامح وجهه ، لكى تلائم ملامح (لويس) ، مساعد الطاهى ، وقال (رفعت) :

ـــ لقد قام (وجدى) و(سمير) باختطاف مساعـــد الطاهى ، بحسب الخطة الموضوعة .

ارتسمت على وجه (ممدوح) ملامح عدم الرضاء ، وهو يقول :

ـــ ضميرى يؤنبنى ، لأننا أفقدناه وظيفته على هذا النحو .

قال (رفعت) مطمئنًا :

ـــ لا تقلق .. سيكون فى ضيافتنا بضعة أيام ، حتى تنتهى من مهمتك ، وبعدها سنوفر له عملًا مناسبًا ، بنفس الأجر الذى كان سيحصل عليه من (فورجيه) ، وربما زاد عليه .. المهم ما أخبار التنكّر ؟

نظر إليه (ممدوح) قائلًا ، بعد أن انتهى الرجلان من عملهما :

ـــ ما رأيك ؟

تطلّع (رفعت) إليه ، قائلًا :

ـــ عظيم .. لقد أصبحت قريب الشبه من (لويس) ، ولو أن الطاهى الذى يعمل على السفينة لا يعرف شكله ، وإنما سيعتمد على كارت التوصية ، الذى ستحمله معك ، والذى حصل عليه (لويس) من صديقه ، ولكن الاحتياط فى مثل هذه الأمور مطلوب .. أليس كذلك ؟

* * *

تسلّم ممدوح عمله على سفينة (فورجيه) الخاصة كمساعد

للطاهى ، ولو أنه سبب كثيرًا من المشاكل لذلك الطاهى ، الذى أعلن سخطه على عمله ، وتوعّده بإنهاء عمله بمجرد وصول السفينة إلى الجزيرة اليونانية ، لكثرة أخطائه ، ولقد تعمّد (ممدوح) البقاء طوال الوقت داخل المطبخ ، دون أن يحاول الصعود إلى ظهر السفينة ، أو إلى أية جهة أخرى ، حتى لا يلفت الأنظار إليه ، أو يثير نحوه أية ريبة ، فعمله الحقيقى لم يكن فى أثناء إبحار السفينة ، وإنما بعد وصولهما إلى الجزيرة ، وإن لم يمنعه هذا من أن يتحرّك طوال الوقت بعينين مفتوحتين وأذنين مصغيتين ، لكل ما يدور داخل هذه السفينة ، التى تحمل أصدقاء (فورجيه) ، وكانت الأخبار تأتى إليه داخل المطبخ ، وفى أثناء عمله ، وكلها تدور حول طلبات الفنانين والمشاهير على ظهر السفينة ، ونزواتهم ، لكن الخبر الوحيد الذى شد انتباهه ، كان ذلك المتعلّق بجزء من قاع السفينة ، محظور الاقتراب منه ، بحجة أنه يحتوى على عدد من صناديق الخمور الإسكتلندية الفاخرة ، التى أحضرها (فورجيه) لأصدقائه ، برغم أنه لم يفتح صندوقًا واحدًا منها ، ولم يقدم كأسًا من زجاجاتها ، إلى أى من هؤلاء الاصدقاء على ظهر السفينة ، وكان التعليل الوحيد لذلك ، هو أن هذه الصناديق لن تُفتح

إلا فى الجزيرة نفسها ، وفى أثناء الحفل الذى سيقيمه (فورجيه) لأصدقائه ، وعلى الرغم من أن المطبخ كان يحصل على احتياجاته ، من الأطعمه والأشربة ، من مخزن خاص بذلك ، فى قاع السفينة ، إلا أن مخزن الخمور الاسكتلندية هذا بالذات ، كان له وضع خاص ، وفرضت عليه حراسة ، تحول بين أى شخص وبين الاقتراب منه ، مما أثار اهتمام (ممدوح) ، فقرّر الخروج عن حذره ، والكشف عن سر ذلك المخزن الغامض ، دون الانتظار حتى وصول السفينة إلى الجزيرة ، وبينما كان هذان الشخصان المدججان بالسلاح يقفان أمام باب المخزن ، اقترب منهما (ممدوح) ، حاملًا وعاءين يضمان عدة أطعمه متنوعة وشهية ، وما أن رآه الحارسان يقترب منهما ، حتى شهرا فى وجهه السلاح ، وقال أحدهما بلهجة منذرة :

— قف مكانك ، ولا تخط خطوة واحدة .

ابتسم لهما (ممدوح) ، قائلًا :

— لقد جئت ، لاقدّم لكما طعام الغذاء .

قال له الرجل ، وهو يشهر سلاحه فى وجهه :

— هناك شخص مكلّف إحضار الطعام لنا غيرك .

(ممدوح) :

ــ إنه يشعر بوعكة ، لذا رأيت أن أحلّ محله ، فالطعام اليوم يسيل له اللعاب .

أعاد الرجلان سلاحيهما إلى مكانهما ، ثم تناولا منه الطعام ، وقد بدأت رائحته الشهية تحدث أثرها فى أنفيهما ، وقال له الرجل الذى كان يحدثه :

ــ حسنًا .. يمكنك أن تذهب .

ولكن (ممدوح) لم يبتعد كثيرًا عنهما ، فقد توارى خلف أحد محركات السفينة ، وهو ينظر إلى ساعته ، وما أن مرت خمس دقائق ، حتى قال لنفسه :

ــ حسنًا .. الآن يكون صديقانا قد راحا فى سبات عميق .

وعاد إلى المخزن ، ليجد الرجلين وقد تدلّى رأساهما فوق المنضدة الصغيرة ، التى كانا يتناولان فوقها الطعام ، فهمس قائلًا :

ــ ستنعمان بنوم هادئ ، لمدة خمس دقائق فقط ، تحت تأثير المخدر ، الذى دسسته لكما فى الطعام ، وبعدها تستيقظان ، دون أن تشعرا بشىء مما حدث لكما ، ولكنها

بالنسبة لى ستكون خمس دقائق كافية ، للكشف عما يحويه ذلك المخزن الغامض .

وتناول المفتاح من أحدهما ، ليفتح باب المخزن ، حيث وجد بالداخل عددًا كبيرًا من الصناديق ، سُجلت عليها من الخارج علامة الخمور الاسكتلندية ، ففتح أحد هذه الصناديق ، وشعر بالدهشة ، فقد كانت تحتوى بالفعل على زجاجات الخمر الاسكتلندى ، وقام بفتح آخر فوجد نفس الشىء ، وفجأة برز له أحد الأشخاص من وراء الصناديق ، مصوِّبًا إليه مسدسه المزودَّ بكاتم للصوت ، وهو يقول بخشونة :

ــ ارفع يديك عاليًا .

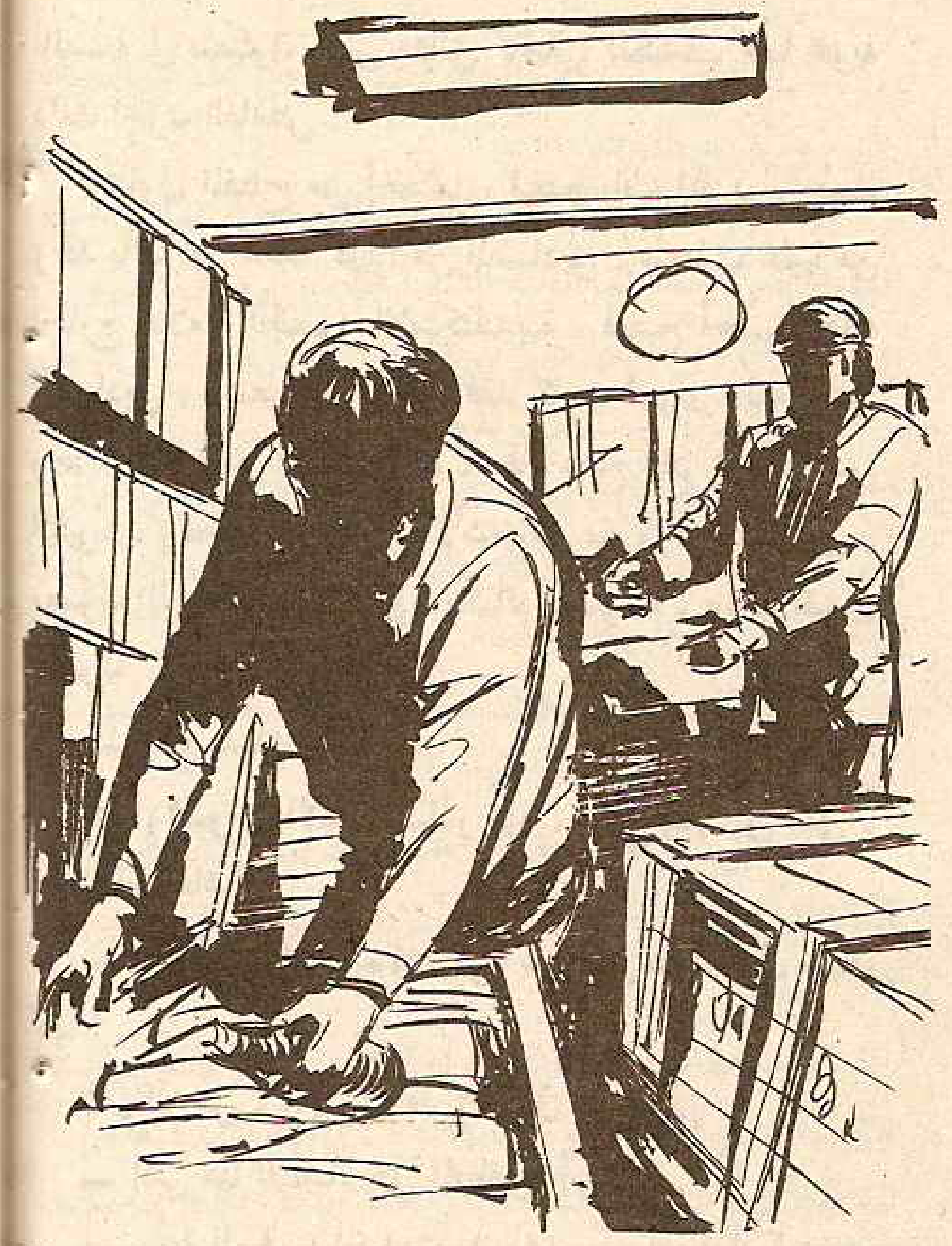
نفَّذ (ممدوح) الأمر الصادر إليه ، فرفع يديه إلى أعلى ، قائلًا باستخفاف :

ــ لم أكن أعرف أنهم يحتفظون بشخص مثلك ، فى مكان كهذا .

قال الرجل ، وهو يستعد لإطلاق الرصاص :

ــ إننى هنا للقضاء على المتطفلين أمثالك .

وبسرعة البرق ، امتدت يد (ممدوح) لتتناول إحدى



وفجأة برز له أحد الأشخاص من وراء الصناديق ، مصوِّبًا إليه مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ..

زجاجات الخمر ، من الصندوق المفتوح أمامه ، ليطيح بها فى وجه الرجل ، الذى طاشت رصاصته ، وصرخ وهو يضع يده على عينيه ، التى اخترقتها بعض الشظايا الزجاجية ، إثر تحطم الزجاجة على وجهه ، فى حين وثب (ممدوح) نحوه ، ليقبض بإحدى يديه على الحزام الملتف حول خصره ، وباليد الأخرى على ياقة سترته من الخلف ، دافعًا رأسه لترتطم بجدار المخزن ..

ونظر ممدوح إلى المعلبات الملقاة ، فى المكان الذى كان يجلس فيه مختفيًا ، فأدرك أن وجود الرجل كان سرًّا ، حتى بالنسبة للحارسين الواقفين بالخارج ، وأن (فورجيه) فضّل الاحتفاظ به مختفيًا داخل المخزن ، تحسّبًا للمفاجآت .

وهمَّ الرجل بمهاجمة (ممدوح) مرة أخرى ، ولكن الأخير عاجله بلكمة قوية ، خر إثرها فاقد الوعى ..

وفتح (ممدوح) الكوة الصغيرة داخل المخزن ، ثم حمل الرجل فوق كتفيه ، صاعدًا فوق أحد الصناديق ، ليلقى به من خلالها إلى البحر ، وهو يقول :

ـــ ما دام أحد لم يكن يعلم بأمرك ، فمن الأفضل أن تبقى مختفيًا بصورة دائمة .

ونظر إلى ساعته بقلق ، فقد مرت ثلاث دقائق ، أضاعها فى صراعه مع ذلك الرجل ، وعاد إلى الصناديق المفتوحة ، حيث وجد كتلة من القش أسفل الزجاجة ، التى ضرب بها الرجل ، وقام بنزع هذا القش من مكانه ، ثم أبرقت عيناه ببريق النجاح ، وهو يهتف :

ــ هكذا تتضح الأمور .. لقد صدق حدسى تمامًا .

كانت قذائف المدفعية تختفى أسفل القش وزجاجات الخمر ، وقد رُصّتْ داخل الصناديق بانتظام ، فتناول (ممدوح) قداحته على الفور ، التى كانت فى حقيقتها آلة تصوير دقيقة ، وأخذ يلتقط صور المخزن من الداخل ، والصناديق ، وقذائف المدفعية . وعليها اسم مصانع (فورجيه) ، وزجاجات الخمر التى تغطيها ، وعندما انتهى كان متبقيًا نصف دقيقة ، ويسترد الجالسان بالخارج وعيهما ، فأعاد ترتيب كل شىء فى مكانه على الفور ، ثم خرج من المخزن ، وأغلق بابه ، وأعاد المفتاح إلى مكانه وأسرع بمغادرة المكان ، فى اللحظة التى استردّ فيها الرجلان وعيهما ، من تأثير المخدر ، وظل الأثنان جاحظا العينين لمدة دقيقة واحدة ، وقد تملكهما الدوار ، عاداً لتناول الطعام ، الذى استبدله لهما (ممدوح) بطعام آخر أحضره معه ..

لقد حصل على الدليل الذى ينشده ، وبقى أن يغادر به السفينة ..

حيًّا .

* * *



١٢ ــ مهمة بطولية ..

وصلت السفينة إلى مرساها ، فى الجزيرة التى يمتلكها (فورجيه) ، الذى وقف فى استقبالهم ، أثناء مغادرتهم السفينة ، ثم قام باصطحابهم إلى قصره الفاخر ، الذى شيده على ربوة عالية ، تطلّ على الجزيرة ، أما العاملون فى السفينة ، فقد بدءوا فى مغادرتها ، إثر انصراف المدعوين من أصدقاء (فورجيه) ، حيث توجَّه الطاهى إلى المطبخ الملحق بالقصر ، لمصاحبة العاملين فيه ، لإعداد لوازم الحفل ، الذى سيقيمه (فورجيه) لأصدقائه فى المساء ، فى حين بقى الحارسان المكلفان حماية المخزن فى السفينة ، دون أن يغادراها ، ولاحظ (ممدوح) فى أثناء توجّهه إلى القصر ، أن هناك مجموعة من الأشخاص ، تتوجّه بدورها إلى السفينة ، وبعضهم يحمل السلاح ، فتعمد أن يخطئ القيام بأحد الأعمال ، التى كلّفه إياها الطاهى الذى يرأسه ، فصاح فيه قائلًا بغضب :

ــ لا أدرى كيف كنت تعمل لدى (جوناثان) ، إنك

لا تعرف أى شىء عن أعمال المطبخ ، ومن الأفضل لك أن تبحث عن عمل آخر .

وعلى الفور قال (ممدوح) ، وهو ينزع زى الطهاة الذى يرتديه :

ــ حسنًا .. سأعمل بنصيحتك .. من الآن سأبحث لى عن عمل آخر .

وسارع بمغادرة المطبخ ، تاركًا الرجل ينظر إليه بدهشة ، دون أن يجد ما يقوله ، بعد أن حمل معه حقيبة ثيابه ..

واستخدم (ممدوح) باب المطبخ الخلفى ، فى الهبوط خلف مبنى القصر ، ثم بدأ يتخذ طريقه هابطًا الربوة العالية ، فى طريقه إلى المكان الذى رست عنده السفينة ، ومعتمدًا على الأشجار الكثيفة والتلال الجبلية ، فى التخفّى عن الأنظار ..

كان راغبًا فى الوصول إلى مكان السفينة بأسرع وقت ، حتى يتبيَّن حقيقة ما يدور فيها من أحداث ، وتمنّى أن يجد لنفسه موقعًا ، يستطيع من خلاله مراقبة السفينة بدقة ..

وبدأ الليل يرخى سدوله ، و(ممدوح) يواصل طريقه بين الأشجار والتلال ، متجهًا إلى هدفه سيرًا على قدميه ، وأحياناً أخرى زحفًا على بطنه ، للاختفاء عن أنظار أولئك الرجال

المسلحين ، المنتشرين فى الجزيرة لحراستها ، ولسوء حظه اعترضه أحد هؤلاء الرجال وهو يستعد للنهوض من على الأرض ، إثر زحفه على بطنه بين الحشائش الخضراء ، وقد أصبح على مسافة قريبة من السفينة ، وقبل أن يشهر الرجل سلاحه فى وجهه ، كان (ممدوح) قد عاجله برصاصة سريعة ، من المسدّس المزوَّد بكاتم الصوت ، والذى استولى عليه من الرجل ، الذى هاجمه فى المخزن ، قبل إلقائه فى الماء ، وجر الرجل من قدميه ، ليخفيه تحت نتوء صخر كبير ، ثم واصل طريقه حتى رأى السفينة على بعد عدة أمتار ، وهنا رقد على بطنه بين الحشائش العالية ، يراقب السفينة ، وكان الليل قد بدأ يرخى سدوله ، فوضع على عينيه نظارة من نوع خاص ، يتيح لصاحبه القدرة على الرؤية فى الظلام الدامس ، كما يقوم أيضًا بعمل المنظار المقرِّب ، فى تقريب المسافات .. ومن موقعه هذا ، كانت السفينة وكل التحركات التى يمكن أن تدور حولها ، واضحة له تمامًا ، ولكن ساعات طويلة مرت عليه ، دون أن يلمح شيئًا غير عادى ، اللهم إلا أولئك الأشخاص ، الجالسين فى تراخ وخمول ، فوق ظهر السفينة ، دون أن يقوم أحدهم بعمل ..

كانت الجزيرة قد غرقت فى الظلام ، وأحسّ (ممدوح) بتعب شديد فى عضلاته ، من رقدته على الأرض فى هذا الوضع غير المريح ، ولم يكن يجرؤ فى نفس الوقت على أن يرفع هامته بين الحشائش ، ليأخذ وضعًا أكثر راحة ، وكل أولئك الحراس يغدون ويروحون بين بقاع الجزيرة ، وأسلحتهم فى أيديهم ، ومن بعيد جاءه صوت اللهو والصخب ، الصادرين من قصر (فورجيه) ، وقال لنفسه :

ـ لقد بدأ الحفل التمويهى ، أرجو أن يبدأ الآن العمل الحقيقى .

ولم يكد ينتهى من جملته ، حتى بدا وكأن الأقدار تستجيب له ، إذ لمح سفينة صغيرة تقترب فى جنح الظلام ، لترسو على مسافة قريبة للغاية من سفينة (فورجيه) ، وهى تبدو عادية فى مظهرها ، وكأنها إحدى السفن التجارية الصغيرة ، ولكن ما آثار اهتمام (ممدوح) حقاً ، هو كل هذا العدد من الرجال ، الذين غادروها ، وقد وقف فى استقبالهم رجال (فورجيه) ، أما الأكثر أهمية بالنسبة له ، فهو رؤيته لذلك القبطان القصير ذو اللحية .. لقد كان هو نفسه الكولونيل (دان) ، المسئول عن النشاط الخاص بالمخابرات الأسترالية ..

كانت إذن سفينة أسترتانية على الرغم من مظهرها الخادع ، وجنسيتها البنمية الزائفة ، التى سُجِّلت على جدارها .

وعلى الفور بدأ النشاط يدبّ فى الجميع ، وبينما كان رجال الصحافة والفن ومشاهير المجتمع الأوربى غارقين فى صخب الحفل الفاخر ، الذى أقامه لهم (فورجيه) ، كان أولئك البحارة مشغولين بعمل آخر ، وهو نقل صناديق الخمور الزائفة ، التى تحمل شحنة قذائف المدفعية ، من سفينة (فورجيه) الخاصة ، إلى السفينة الاسترتانية ، وقال (ممدوح) لنفسه ، وهو يرفع المنظار عن عينيه قليلًا :

ــ هذه إذن خطة (فورجيه) البديلة .

وقام بإخراج آلة التصوير الصغيرة ، المزوَّدة بعدسة للتصوير الليلى ، دون حاجة إلى مصباح إضاءة ، وأخذ يلتقط ما يدور أمامه ، وعملية نقل صناديق الأسلحة ، وصورة خاصة للكولونيل (دان) .. وبدأت الظروف تخدمه بأكثر مما توّقع ، إذ سرعان مالمح سيارة صغيرة تقترب من المكان ، هبط منها (فورجيه) ، مرتديًا ثياب السهرة ، وأخذ يُجرى بعض الحديث مع الكولونيل (دان) ، ويراقب بنفسه عملية نقل

الصناديق إلى السفينة الأسترتانية ، وتمكّن (ممدوح) من التقاط عدة صور مختلفة له ، أثناء مباشرته العملية ، وحديثه مع الكولونيل (دان) ..

كان من الواضح أن (فورجيه) قد غافل ضيوفه ، وجاء للاطمئنان على حسن سير العملية ، قبل أن يعود إلى الحفل مرة أخرى ، دون أن يشعر به أحد ، وتناول (ممدوح) جهازًا لاسلكيًّا صغيرًا ، كان يخفيه داخل كعب حذائه الأيمن ، وأخذ يضغط عليه ، مصدراً عدة إشارات لاسلكية ، إلى جهة غير معلومة ، وعلى الفور كانت هذه الإشارات قد تم استقبالها ، على جهاز الاستقبال المخصص لذلك ، داخل إحدى الغواصات المصرية ، التى تجوب المياه الدولية ، وقال ضابط اللاسلكى لقائد الغواصة ، واللواء (مراد) ، الذى كان جالسًا إلى جواره .

ــ الإشارات تعنى أن المهمة قد نجحت ، وأنه فى سبيله إلى إنهاء العملية .

وفتح (ممدوح) حقيبته الجلدية ، ليخرج ما بها من ثياب ، ثم نزع بطانتها الداخلية ، ليخرج من داخلها شريطًا جلديًّا ، يلتف داخل بطانة الحقيبة ، وقد التصقت به على مسافات

متقاربة ، خمس دوائر أسطوانية معدنية ، متشابهة الحجم والشكل ، ومغطاة بأغلفة بلاستيكية صفراء ، وقام برفع الأغلفة البلاستيكية ، وتحريك مؤشر صغير داخل كل دائرة أسطوانية ، إلى الاتجاه المعاكس لما كان عليه ، ثم أعاد تغطيتها بالأغلفة البلاستيكية مرة أخرى ، وقام بلف الحزام حول وسطه ، كما قام بتحريك كعب حذائه الأيسر جانبًا ، ليخرج منه مفجرًا صغيرًا ، وضعه فى راحة يده وواصل زحفه بين الحشائش الطويلة ، بعيدًا عن الاتجاه المؤدى إلى السفينة ، حتى وصل إلى منطقة تظللها الأشجار ، واعتمادًا على الظلام الدامس والأشجار الكثيفة ، اندفع يركض فى اتجاه البحر ، حتى تمكن من الوصول إلى حافة المياه ، ولم يلبث أن غاص فى الماء ، وأخذ يسبح فى هدوء ، حتى اقترب من السفينة الاسترتانية ، وهنا حل الحزام من حول خصره ، ثم أخذ ينزع الدوائر الأسطوانية الصغيرة من أغلفتها ، ويثبتها فى أماكن متفرقة من جسم السفينة ، بالقرب من قاعها ، وفجأة صاح أحدهم :

— هناك شخص يسبح بالقرب من السفينة .

— ووجد ممدوح عشرات الكشافات الضوئية تسلط على

الماء ، ووابلا من الرصاص ينطلق نحوه ، فأسرع يغوص فى الماء ، تفاديًا للطلقات المنهمرة عليه ، ثم عاد يطل برأسه من جديد ، للحصول على قدر من الأكسجين ، ولكن الطلقات عادت تنهال عليه مرة أخرى ، مما أجبره على الاستمرار فى الغوص ، وهو يحاول أن يسبح بعيدًا عن السفينة ، بأكبر مسافة ممكنة ، وجاهد لكى يحتفظ برأسه لأطول وقت تحت الماء ، ولكن مع مرور الوقت لم تعد رئتاه تحتملان نقص الهواء ، فعاد يرفع رأسه مرة أخرى فوق صفحة المياه ، وفى هذه المرة أصابت إحدى الرصاصات المنهمرة حوله كتفه اليسرى ، وهتف أحدهم :

— يبدو أننا قد نلنا منه .

ولكن (فورجيه) نظر بشك إلى بقعة المياه ، التى اختلطت بدماء (ممدوح) ، قائلاً :

— ربما كان قد أصيب فقط .. على كل حال ، فهو لن يستطيع الاستمرار فى الغوص والسباحة ، لو كان على قيد الحياة ، مع إصابته هذه ، فإذا عاد للظهور ، صوبوا على رأسه بإحكام ، لتكون فى هذه المرة نهايته .

وبينما كان (ممدوح) يغوص تحت الماء ، والدماء تتدفق من

كتفه ، كانت سبابته تضغط على زر التفجير ، فى الجهاز الإلكترونى الذى حمله معه ، وفى الحال انفجرت القنابل الأسطوانية الإلكترونية ، التى قام بتثبيتها فى جسم السفينة ، لتطيح بها ، وبحمولتها من قذائف المدفعية ، التى كان الانفجار ، مع وصوله إلى القذائف ، إلى إحداث دمار هائل ، أصاب فى جزء منه سفينة (فورجيه) ، التى كانت تقف على مقربة من السفينة الاسترتانية ، ووصل صوت الانفجار إلى قصر (فورجيه) ، فأصاب ضيوفه بالهلع ، وجعلهم يسرعون بمغادرة القصر ، فى زحام واضطراب ، كما أصيب بعض من كان يقف بالقرب من مرسى السفينة ، ومن بينهم (فورجيه) ، والكولونيل (دان) ، وأحسّ (ممدوح) باهتزاز الماء حوله بشدة ، من أثر الانفجار ، ولكنه استمر فى السباحة ، مقاومًا آلامه الشديدة ، وبدأ يفقد كمية كبيرة من دمه وشعر أنه يغيب عن الوعى تدريجيًا ، ومع شدة الألم ، الذى لحق بكتفه المصابة ، بدأت قواه تخور تدريجياً ، وبينما كان فى طريقه إلى الاستسلام لغيبوبة طويلة ، تراءت له أشباح الضفادع البشرية ، تتحرك فى اتجاهه ، وقام أحدهم بوضع خرطوم متصل بأسطوانة أكسجين يحملها معه فى فمه ،

ليساعده على التنفس ، بينما قام آخر بجذبه ، إلى الاتجاه الذى جاء منه الأشباح .

وأظلم كل شىء فجأة .

* * *

استردّ (ممدوح) وعيه ، ليجد نفسه ممدّدًا على فراش صغير ، وقد وقف بجانبه شخص ، يبدو من مظهره ومعطفه الأبيض أنه طبيب ، وأراد أن يتحرّك ، فشعر بألم شديد فى كتفه ، الذى كان محاطًا بالضمادات والأربطة ، وقال له الطبيب محذّرًا :

ــ حاول أن تسترخى ، ولا داعى للحركة الآن .

قال له (ممدوح) بصوت واهن :

ــ ولكن أين أنا ؟

سمع صوتًا مميزًا من الجهة الأخرى لسريره ، يقول :

ــ على ظهر غواصة مصرية ، تتجه بك الآن إلى أحد الموانى الحربية ، القريبة من ميناء (الإسكندرية) .

التفت (ممدوح) إليه ، هاتفا :

ــ سيادة اللواء (مراد) ؟!

وجاءت هذه اللفتة والصوت العالى ، ليحدث أثرهما على جرحه ، فبدت عليه ملامح الألم ، فقال له اللواء (مراد) بهدوء :

— ألم يحذّرك الطبيب من الحركة؟ إن إصابتك ليست بالغة ، ولكنها ستحتاج لبعض الوقت ، حتى تشفى وتسترد صحتك .

قال (ممدوح) ، وكأنه يبحث عن شيء :

— الميكروفيلم .. لقد صوّرت عملية تهريب الأسلحة إلى السفينة الاسترتانية .

اللواء (مراد) :

— اطمئن لقد عثرنا عليه معك ، والفنيون على ظهر السفينة يقومون الآن بتحميضه ، لتسليم نسخة من الصور إلى الحكومة الفرنسية ، ونسخة أخرى إلى الصحافة العالمية .. لقد قمت بعمل رائع يا (ممدوح) ، فقد أحضرت دليل الإثبات ، الذى كنا نحتاجه ، لتورط (فورجيه) ومؤسسته ، فى مخالفة الحظر المفروض على الأسلحة الفرنسية المصدّرة إلى (أسترتان) ، وبذلك قضيت على مصدر هام من مصادر إمداد العدو بالسلاح ، كما أنه بتدميرك للسفينة الاسترتانية ، فإنك قد حرمت الاسترتانيين من تلك القذائف ، التى كانت ستشكل مصدر تهديد بالغ لنا ، ويسعدنى أن أنقل إليك تهنئة وزير الدفاع المصرى ، التى وصلتنا منذ لحظات عبر الموجات

اللاسلكية ، بعد أن أخطرناه بنجاح العملية .. لقد كان إصرارك على الاستمرار فى هذه المهمة ، وتحدّى الفشل الذى واجهنا فيها ، وراء هذا النجاح ، وسببًا فى تقديم خدمة جليلة للوطن .

قال (ممدوح) ، وهو يضع يده على كتفه المصابة ، متحسّسًا مكان الألم :

— إننى لم أفعل سوى الواجب يا سيادة اللواء .

اللواء (مراد) :

— ومع ذلك فلا بد أن تحصل على مكافأة ، لنجاحك فى هذه العملية .

تطلع إليه (ممدوح) ، قائلًا :

— هل ترى أننى أستحق مكافأة فعلًا يا سيّدى؟

اللواء (مراد) .

— بالطبع يا (ممدوح) .. لقد قمت بعمل بطولى .

— إذن هل لى أن أطلب فنجانًا من الشاى الساخن ، وشطيرة فول مدمس؟ إننى أشعر بحنين بالغ إليهما .

نظر إليه اللواء (مراد) ، والطبيب ، وقائد الغواصة لحظة

فى دهشة ، ثم انفجروا فى الضحك ..
وانتهت المهمة .

* * *

(تمت بحمد الله)

تحدّى الشيطان

وقبل أن ينطلق رصاص المدفع ، كان (ممدوح) قد دسّ يده تحت سترة غريمه ، ليضع إصبعه على زناد المسدس ، المعلق داخل الجراب الملتف حول إبطه ، وهو يحرّكه في اتجاه الرجل الآخر .

المؤلف



أ . شريف شوق

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

العدد القادم

الأيقونة الصفراء

الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم